بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فتح العليم في تلخيص المدخل لدراسة القرآن الكريم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ -٧١].

وبعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فقد مَنَّ الله علينا ووَفَّقَنا في اختصار وتهذيب هذا الكتاب القيم حتى يكون **بدايةً** لمن أراد أن يستزيد من هذا العلم الجليل، **وقدرًا** طيبا لمن أراد الاكتفاء، وقد حرصنا على تحقيق وتخريج الأحاديث ليخرج المختصر على وجه طيب، والله نسأل أن يتقبل منا العمل، ويغفر لنا الزلل، وأن يقبله منا خدمة لكتابه العزيز، إنه على كل شيء قدير.

اللجنة العلمية بدار العلوم الشرعية بجمعية الترتيل

ربيع الأول ١٤٣٤–يناير ٢٠١٣

التمهيد

القرآن الكريم: هو كتاب الله ﷻ المنزل على خاتم أنبيائه محمد ﷺ بلفظه ومعناه المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

لا يتطرق إلى ساحته نقص ولا إبطال ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢** ﴾[فصلت: ٤١ – ٤٢]، وهو المعجزة العظمى والحجة البالغة الباقية على وجه الدهر لرسول البشرية سيدنا محمد ﷺ.

وتحداهم الله سبحانه وتعالى أن يأتوا بمثله فعجزوا ﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا** ﴾[الإسراء: ٨٨]، ثم تحداهم تعالى بأقل من ذلك ﴿ **أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣** ﴾ [هود: ١٣]، ثم تحداهم مرة ثالثة بأقل من هذا ﴿ **أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨** ﴾ [يونس: ٣٨]، وبذلك ثبت إعجاز القرآن على أبلغ وجه وآكده، وإذا ثبت عجز العرب فغيرهم بالعجز أحرى وأولى.

فالقرآن الكريم:

١. هو كتاب العربية الأكبر.

٢. هو كتاب الهداية الكبرى.

٣. هو الذي حارب التقليد ودعا إلى النظر والفكر والتأمل في الكون، قال تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ**

﴿ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ ﴾ الغاشية: [١٧ – ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾ [الذاريات: ٢١].

٤. هو الذي فتح الباب للعلوم التجريبية.

٥. هو الذي حارب العنصرية والهمجية الجاهلية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [الحجرات: ١٣].

٦. هو الذي كوّن أمة مثالية فاعتنت هي بدورها بالقرآن الكريم.

عناية الأمة الإسلامية بالقرآن:

١. حفظوا لفظه وفهموا معناه.

٢. أفنوا أعمارهم في البحث فيه والكشف عن أسراره.

٣. أَلَّفُوا فيه التآليف في تفسيره، ومحكمه ومتشابهه، وفي القرآن مكيّه ومدنيّه، وإعجازه، وإعرابه، ..... .

المبحث الأول

معنى علوم القرآن

أولا: معنى العلوم

لغة: العلوم جمع علم، وهو مصدر بمعنى الفهم والمعرفة واليقين.

اصطلاحا: جملة من المسائل المضبوطة بجهة واحدة سواء كانت وحدة الموضوع أم وحدة الغاية؛ أي سواء كان موضوعا واحدا، أو بعض المواضيع التي تؤدي إلى غاية واحدة.

ثانيا: معنى القرآن

لغة: مصدر قرأ بمعنى تلا، مثل: (الرجحان، الغفران)، ثم نقل من هذا المعنى المصدري (قرآن) وجعل اسما للكلام المنزل على نبينا ﷺ.

اصطلاحا: هو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، المنقول بالتواتر، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

وخرج بقولنا (المنزل على نبيه محمد): المنزل على غيره كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف.

خرج بقولنا (المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته): الأحاديث القدسية.

خرج بقولنا (المنقول بالتواتر): جميع ما سوى القرآن المتواتر من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة.

أسماء القرآن كثيرة أشهرها: القرآن، الفرقان، الكتاب، التنزيل، الذكر، وقد صارت أعلاما بالغلبة على القرآن.

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان: ١].

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ [الكهف: ١].

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢].

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ثالثا: علوم القرآن بالمعنى الإضافي:

أي كل المعارف والعلوم المتصلة بالقرآن، ومن ثَمَّ جمع لفظ العلوم ولم يفرد، مثل: علم التفسير وعلم الرسم العثماني وعلم القراءات وعلم غريب القرآن وعلم إعجاز القرآن وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم المحكم والمتشابه وعلم إعراب القرآن وعلم مجاز القرآن وعلم أمثال القرآن والقَسَم في القرآن إلى غير ذلك.

رابعا: علوم القرآن بالمعنى اللقبي أي الفن المدون

نعرف هذا الفن بمعناه العلمي: علم ذو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله، وترتيبه، وكتابته، وجمعه، وقراءاته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، إلى غير ذلك.

أما علوم القرآن بالمعنى الإضافي، فإن موضوع كل علم منها هو القرآن الكريم، فعلم التفسير موضوعه القرآن الكريم من حيث بيان شرحه، وعلم القراءات موضوعه القرآن الكريم من حيث لفظه وأدائه.

خامسا: فائدة علوم القرآن

١. أنه يساعد على دراسة القرآن الكريم وفهمه حق الفهم، إذ كيف يتأتى لدارس القرآن وتفسيره أن يتوصل إلى إصابة الحق والصواب وهو لا يعلم كيف نزل ولا متى ولا ترتيب السور؟ يقول السيوطي رحمه الله في مقدمة كتابه **الإتقان في علوم القرآن**: "ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتابا في أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث".

٢. إن الدارس لهذا العلم يتسلح بسلاح قوي حاد ضد غارات أعداء الإسلام التي شنوها على القرآن الكريم زورا وبهتانا، ولا شك أن الدفاع عن القرآن الكريم الذي هو أصل

الإسلام من أوجب الواجبات على الأمة.

٣. الثقافة العالية التي سوف تحصل لمن درس علوم القرآن، وإذا كانت العلوم ثقافة للعقول وصلاحا للقلوب وتهذيبا للأخلاق ففي القمة تكون علوم القرآن.

سادسا : تاريخ علوم القرآن

قبل عصر التدوين:

كان القرآن الكريم ينزل على النبي ﷺ منجما على حسب الوقائع، وقد تكفل الله لنبيه أن يقرئه القرآن ويفهمه معناه ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾** ﴾ [القيامة: ١٦ – ١٩].

ثم بلّغ الرسول ﷺ ما أُنزل عليه لأصحابه، فقرأه على مكث ليحفظوا لفظه ويفهموا معناه.

وكان الصحابة يحرصون غاية الحرص على حفظ ما ينزل من القرآن، وكانوا يعرفون معاني القرآن وعلومه وأسراره الشيء الكثير لكونهم عربا خلصا، وكان ابن مسعود من أعلم الصحابة، روى البخاري عنه رضي الله عنه أنه قال: "**وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ**"[1].

فإن خفي عليهم شيء سألوا النبي ﷺ كما سألوا عن قوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨٢]؛ فبيّن لهم ﷺ أن المراد بالظلم هو الشرك؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان: ١٣]، وكذلك عدي بن حاتم رضي الله عنه لما سمع قوله تعالى:

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٠٠٢).

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، أخذ عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض ووضعهما تحت وسادته حتى بين له النبي ﷺ أن المراد بالخيطين بياض النهار وسواد الليل.

وقد خفيت عليهم بعض الألفاظ لقول أبي بكر رضي الله عنه لما سئل عن معنى (أبًّا): **"أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِمَا لَا أَعْلَمُ"**[1]، كذلك ابن عباس رضي الله عنهما قال : **"كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، أَنَا ابْتَدَأْتُهَا"**[2]، وكذلك يقول: **"مَا كُنْتُ أَدْرِي مَا قَوْلُهُ: ﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾** [الأعراف: ٨٩] **حَتَّى سَمِعْتُ بِنْتَ ذِي يَزَنَ أَوِ ابْنَةَ ذِي يَزَنَ تَقُولُ: تَعَالَ أُفَاتِحُكَ: (أُقَاضِيكَ)"**[3].

وكانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا، ولهذا أخذ ابن عمر رضي الله عنهما في حفظ سورة البقرة ثمان أعوام ، ويقول أنس رضي الله عنه: **"وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ: الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، جَدَّ فِينَا؛ يَعْنِي عَظُمَ"**[4].

---

[1] أخرجه ابن أبي شيبة رحمه الله في مصنفه (٣٠١٠٧)، وقال الحافظ رحمه الله في **فتح الباري** (١٣/٢٨٥): منقطع يتقوى بغيره.

[2] أخرجه الإمام الشافعي رحمه الله في مسنده (٢١٦)، وقال ابن كثير رحمه الله في فضائل القرآن (١٢٥): إسناده جيد.

[3] الأسماء والصفات (١/١٦٤)، للبيهقي رحمه الله.

[4] أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (١٢٢١٦)، وقال شيخ الإسلام رحمه الله في الصارم المسلول (٢/٢٤١): إسناده صحيح.

وبَلَّغَ الصحابة رضي الله عنهم ما تعلموه وحفظوه وفهموه من الرسول ﷺ للتابعين، وبَلَّغَه التابعون إلى من جاء بعدهم.

وقد كان المعول عليه في القرون الأولى سواء في علوم القرآن أو علوم الحديث هو الرواية والتلقي مشافهة لا على الخط والكتابة واستمر حتى جاء عصر التدوين.

عصر التدوين

كان قبل عصر التدوين القرآن الكريم هو المدون فحسب، قال رسول الله ﷺ: **"لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا عَنِّي، وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ، قَالَ هَمَّامٌ: أَحْسِبُهُ قَالَ: مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"**[1].

وفي عهد علي رضي الله عنه أمر أبا الأسود الدؤلي بوضع علم النحو فكان هذا فاتحة خير.

وفي العهد الأموي اتسعت دائرة التدوين، وفي عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أمر علماء الأمصار بجمع الأحاديث.

وفي العهد العباسي اتسعت دائرة التأليف حتى شملت معظم علوم الدين واللغة بل وغيرها.

كان من الطبيعي أن يكون أول ما يدون من علوم القرآن هو علم التفسير فأَلَّفَ سفيان بن عيينة المتوفى ١٩٨ هـ ووكيع بن الجراح المتوفى ١٩٧ هـ وشعبة بن الحجاج المتوفى ١٥٠ هـ رحمهم الله، وكانت تفاسيرهم جامعة لأقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، ثم تلاهم ابن جرير الطبري رحمه الله المتوفى ٣١٠ هـ وهو من أعظم التفاسير، وهو أول من تعرض لتوجيه الأقوال والترجيح ومزج التفسير بالمأثور مع التفسير بالرأي والاجتهاد، ثم تتابع سيل التفاسير بعده.

وقد شملت هذه الحركة التأليفية كل نوع من أنواع علوم القرآن تقريبا، فألف في أسباب النزول علي بن المديني شيخ البخاري رحمهما الله، وفي الناسخ والمنسوخ القاسم بن سلام وابن حزم رحمهما الله، وفي مشكله وغريبه ابن قتيبة وأبو بكر السجستاني والراغب

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٣٠٠٤).

الأصفهاني رحمهم الله وغيرهم، وتتابع التأليف في علوم القرآن وبحسبك أن تتناول فهرسا لمكتبة لعلوم القرآن وسوف تبهر.

وكانت ثمة طريقة أخرى للتأليف، فقد رأى بعض العلماء أن يجمعوا هذه الأنواع في كتاب مستقل على غرار ما صنع المحدثون في علوم الحديث وسموه علوم القرآن وقد جاء التدوين بهذه الطريقة متأخرا ثم سار جنبا بجنب مع الطريقة الأولى.

ويرى البعض أن اصطلاح (**علوم القرآن**) ظهر في القرن السادس على يد أبي الفرج بن الجوزي رحمه الله، وقيل قبل هذا فمن هذه المؤلفات:

- مؤلفات القرن السادس "**فنون الأفنان في علوم القرآن**" لابن الجوزى رحمه الله.
- وفي القرن السابع أَلَّفَ السخاوي رحمه الله "**جمال القراء**".
- وفي القرن الثامن أَلَّفَ الزركشي رحمه الله "**البرهان في علوم القرآن**" ذكر فيه سبعة وأربعين نوعا من أنواع علوم القرآن، وقال: "**وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا مِنْ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ إِلَّا وَلَوْ أَرَادَ الْإِنْسَانُ اسْتِقْصَاءَهُ لَاسْتَفْرَغَ عُمُرَهُ ثُمَّ لَمْ يُحْكِمْ أَمْرَهُ وَلَكِنِ اقْتَصَرْنَا مِنْ كُلِّ نَوْعٍ عَلَى أُصُولِهِ وَالرَّمْزِ إِلَى بَعْضِ فُصُولِهِ فَإِنَّ الصِّنَاعَةَ طَوِيلَةٌ وَالْعُمُرَ قَصِيرٌ ماذا عسى أن يبلغ لسان لتقصير**".
- وفي القرن التاسع ترعرع هذا العلم وجاء فارس هذه الحلبة الإمام جلال الدين السيوطي فأَلَّفَ "**الإتقان في علوم القرآن**"، ولم يدع رحمه الله شاردة ولا واردة إلا اطلع عليها، فجاء كتابه كالفهرس لعلوم القرآن، وقد ذكر فيه مئات الكتب المؤلفة في هذه العلوم ثم توقف التأليف في علوم القرآن أو كاد.
- ثم في عصر نهضة العلوم قام الأزهر بعلمائه وغيرهم بالتأليف وأضيفت مباحث جديدة مثل ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية والرد على الشبه وظهرت المؤلفات الطبية في علوم القرآن وتتابعت.

المبحث الثاني

نزول القرآن الكريم

هذا مبحث هام إذ هو أصل للمباحث التي تتكلم عن: تنزلات القرآن الكريم، ومتى نزل؟ وكيف نزل؟ وعلى من نزل؟ وعلى أي حال كان يتلقاه الرسول ﷺ؟

فالعلم بنزول القرآن أساس للإيمان بالقرآن، وأنه كلام الله، وأساس للتصديق بنبوة رسول الله ﷺ، وأن الإسلام حق، ثم هو أصل لسائر المباحث التالية في علوم القرآن.

أولا: معنى النزول

النزول لغة: الحلول، يقال نزل فلان المدينة أي حل بها، المتعدي منه معناه الإحلال، أنزلت فلانا بين القوم أي أحللته بينهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾[المؤمنون: ٢٩].

- وكذلك يطلق على تحرك الشيء من علو إلى سفل، يقال: "نزل فلان من الجبل"، والمتعدي منه أنزل، كقوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾[الرعد: ١٧].

والقرآن هو كلام الله لفظا وصوتا إلى جبريل عليه السلام بما سمعه من ربه سبحانه وتعالى، فأسمعه للنبي ﷺ، فأسمعه للصحابة، فأنت عندما تقرأ القرآن فهذا: صوتك أنت، وقراءتك أنت، وذلك كما ترى البحار، والجبال، فهذه آثار قدرة الله سبحانه وتعالى، وليست هي القدرة بذاتها؛ أي ليست هي الصفة لله سبحانه وتعالى، كذلك القرآن الذي تتلوه هو آثار صفة الله، وليست هي الصفة بعينها.

وللقرآن الكريم وجودات ثلاثة:

أ. وجوده في اللوح المحفوظ. **ب**. وجوده في السماء الدنيا.

ج. وجوده بالأرض بنزوله على النبي ﷺ.

ولفظ النزول مقترن بالوجود الثاني، والثالث، أما الوجود في اللوح المحفوظ فلم يرد لفظ

النزول مقترنا به قط، وقيل: إن للقرآن ثلاثة تنزلات، وهي: اللوح المحفوظ، والسماء الدنيا في بيت العزة، ثم إلى الأرض على النبي ﷺ.

ثانيا: أين كان القرآن قبل نزول الوحي؟

كان ثابتا موجودا في اللوح المحفوظ يقول تعالى: ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** ﴾ [البروج: ٢١ –٢٢]، و**اللوح المحفوظ** هو الكتاب المكنون، يقول تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [الواقعة: ٧٧ – ٨٠].

واللوح المحفوظ: هو السجل العام الذي كتب الله فيه في الأزل كل ما كان، وكل ما يكون، والواجب علينا أن نؤمن بأنه موجود ثابت، والبحث في ما وراء ذلك لم يرد فيه حديث صحيح، وإيماننا باللوح المحفوظ: يبعث الطمأنينة إلى النفس، والثقة بكل ما يظهره الله لخلقه، والرضا والسكون بالقضاء والقدر، وتهون علينا ضراء الحياة، ﴿ **مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [الحديد: ٢٢ – ٢٣]، وللإيمان باللوح المحفوظ أثر صالح في استقامة المؤمن على الجهاد في الله، وتفانيه في طاعة الله تعالى.

ثالثا: نزول القرآن الكريم

نزول القرآن:

١. من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.
٢. من السماء الدنيا إلى النبي ﷺ.

النزول الأول:

فنزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ويسمى بيت العزة كما أثر

عن ابن عباس رضي الله عنهما: "**وُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَجَعَلَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ بِهِ عَلَى النَّبِيِّ** ﷺ"[1]، ومن المعلوم أن في السماء السابعة البيت المعمور، وقيل في آثار نقلت إلينا: "أن لكل سماء بيتا يحج إليه أهل هذه السماء"، وكان هذا النزول في رمضان في ليلة القدر، لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ** ﴾ [القدر:١] ولقوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ** ﴾ [الدخان: ٣]، ولقوله تعالى: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ** ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والإنزال (مصدر أنزل) أكثر ما يرد في لسان العرب فيما نزل جملة واحدة، بخلاف التنزيل (مصدر نزّل) فإنه يعبر به في جانب ما نزل مفرقا، ولهذا لما جمع الله بين القرآن والتوراة والإنجيل عبر في جانب نزول القرآن على النبي ﷺ بالتنزيل (أي مفرقا)، وفي جانب التوراة والإنجيل بالإنزال؛ لأنهما نزلا دفعة واحدة وهذا ما لا خلاف فيه قال تعالى: ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ** ﴾[آل عمران: ٣].

ومن البديهي في قوله تعالى ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ١** ﴾ [القدر: ١] أن هذا النزول في السماء الدنيا كان جملة واحدة؛ لأنه كما هو معلوم أن القرآن أنزل على الرسول ﷺ في سنوات ونزل في رمضان وغير رمضان فدل هذا على أن النزول الذي نوهت به الآيات غير النزول على النبي ﷺ، وكذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما: "**فُصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَجَعَلَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ بِهِ عَلَى النَّبِيِّ** ﷺ"[2]، وآثار أخرى عن ابن عباس تدل على هذا، فقد سأله عطية بن الأسود قال: "**إِنَّهُ وَقَعَ فِي قَلْبِيَ الشَّكُّ قَوْلُ اللَّهِ:** ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ** ﴾[البقرة: ١٨٥]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ** ﴾ [القدر: ١]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ** ﴾[الدخان: ٣]، **وَقَدْ أُنزِلَ**

---

[1] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير بمعناه (١٢٣٨٢)، وقال الحافظ رحمه الله في **فتح الباري** (٦١٩/٨): "إسناده صحيح".

[2] أخرجه النسائي رحمه الله في سننه (٧٩٣٧)، وقال السيوطي رحمه الله في **الإتقان في علوم القرآن** (١٤٧/١): أَسَانِيدُهَا كُلُّهَا صَحِيحَةٌ.

فِي رَمَضَانَ، وَشَوَّالَ، وَذِي الْقِعْدَةِ، وَذِي الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمِ، وَشَهْرَيْ رَبِيعٍ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ جُمْلَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ أُنْزِلَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَوَاقِعِ النُّجُومِ رِسْلًا فِي الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ"[1]، ومن المعلوم أن ابن عباس لا يقول هذا بمحض الرأي فهو محمول على سماعه من النبي ﷺ.

وذكر السيوطي رحمه الله أن القرطبي رحمه الله نقل حكاية الإجماع على نزول القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

والحكمة من نزوله جملة واحدة:

١. تفخيم شأن القرآن، وشأن من نزل عليه، وشأن من سينزل إليهم، بإعلام سكان السماوات بأن هذا آخر الكتب المنزلة.

٢. تفضيل القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية بأن جمع الله تعالى له النزولين: النزول جملة واحدة، والنزول مفرقا.

٣. إلهابا لشوق النبي ﷺ إليه، على حد قول القائل:

وأعظم ما يكون الشوق يوما ... إذا دنت الخيام من الخيام

٤. وفي تعدد وجود القرآن مرة في اللوح، وأخرى في بيت العزة، وثالثة على قلب النبي ﷺ؛ في ذلك التعدد مبالغة في نفي الشك عن القرآن وزيادة للإيمان وباعث على الثقة؛ لأن الكلام إذا سجل في سجلات متعددة وصحت له وجودات كثيرة كان ذلك أنفى للريب.

النزول الثاني:

كان النزول الأول للقرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، وكان النازل به جبريل عليه السلام، فألقاه على السفرة الكرام البررة، فقيدوه في صحفهم

---

[1] مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (١/٢٤٩)، للمروزي رحمه الله، وأشار العلامة أحمد شاكر رحمه الله في مقدمة عمدة التفسير إلى صحته (١/٢٢٠) بلفظ قريب من المذكور.

المكرمة ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (12) فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (13) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ (14) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ (16) ﴾[عبس: ١١ – ١٦]، ثم أذن الله تعالى أن يهدي البشرية، فأنزله على سيدنا محمد ﷺ متفرقا، وهذا هو النزول الثاني وأدلته أكثر من أن تحصى:

- ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ (195) ﴾[الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥].
- ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (102) ﴾ [النحل: ١٠٢].
- ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (1) ﴾ [الكهف: ١].
- ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا (1) ﴾[الفرقان: ١].

كيف كان هذا النزول؟

نزل منجما (مفرقا) على النبي ﷺ حسب الوقائع والحوادث وحاجات الناس لمدة ثلاث وعشرين سنة تقريبا، وبالتدقيق مدة نزول القرآن اثنتان وعشرون سنة وخمسة أشهر ونصف شهر تقريبا.

- والدليل على نزوله منجما قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢]، وذلك عندما قال اليهود والمشركون هلا نزل جملة واحدة.
- وفي السنة عن عائشة رضي الله عنها أن أول ما نزل صدر سورة اقرأ إلى قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ

﴿ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٥][1]، وعن جابر ﵁ أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر إلى ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدثر: ٥][2]، وكذلك روي عن ابن عباس ﵄، وغيره من الصحابة ﵃ القول في تقدم نزول بعض السور والآيات على بعض، وترتيب السور حسب النزول، إلى غير ذلك مما لا يدع مجالا للشك أن القرآن نزل منجما.

نزول الكتب السماوية السابقة

المشهور بين العلماء أن ذلك كان جملة واحدة، حتى كاد هذا الرأي أن يكون إجماعا كما قال السيوطي رحمه الله، والدليل على ذلك: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الفرقان: ٣٢]، فلو كانت الكتب السماوية نزلت مفرقة لكان كافيا أن يقال لهم هذه سنة الله تعالى في الكتب، كما قالوا: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، فكان الرد: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان: ٢٠]، كذلك من الأدلة على نزول الكتب السماوية جملة واحدة: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ [الأعراف: ١٤٤ – ١٤٥]، وكذلك توجد آثار صحيحة عن ابن عباس ﵄ تفيد نزول التوراة جملة، وهي أعظم الكتب السماوية السابقة، فأحرى بغيرها من الكتب السماوية أن تكون جملة واحدة.

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٥٦)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٠).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٥٤)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦١).

كيف كان يتلقى جبريل عليه السلام الوحي؟

ذكر البيهقي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ** ﴾ [القدر: ١] يريد –والله أعلم– إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع، وهذا الرأي أمثل الآراء بالقبول ويشهد له قول النبي ﷺ: "**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَ بِأَمْرِهِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، فَإِذَا تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاءَ رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلُهُمْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلَ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، فَيَنْتَهِي بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ أَهْلُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَقُولُ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي بِهِ جِبْرِيلُ حَيْثُ أُمِرَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**"[١]، والحديث إن لم يكن نصا في القرآن، إلا أن الوحي يشمل وحي القرآن وغيره، بل يدخل فيه الوحي بالقرآن دخولا أوليا.

كيف كان يتلقى النبي ﷺ الوحي (لا القرآن)؟

الحالة الأولى: بأن ينسلخ النبي ﷺ من حالته الشريفة العادية إلى حالة شريفة أخرى بها يحصل له استعداد لتلقي الوحي من جبريل ﷺ وهو[٢] على حالته الملكية، وفي هذه الحالة قد يُسمع عند مجيء الوحي صوتا شديدا كصلصلة الجرس[٣]، قال الخطابي رحمه الله: "**وَالْمُرَادُ أَنَّهُ صَوْتٌ مُتَدَارِكٌ يسمعه، ولا يبين له أَوَّلَ مَا يَسْمَعُهُ حَتَّى يَفْهَمَهُ بَعْدُ، وَقِيلَ: هُوَ صَوْتُ خَفْقِ أَجْنِحَةِ الْمَلَكِ، وَالْحِكْمَةُ فِي تَقَدُّمِهِ أَنْ يَفْرُغَ سَمْعُهُ لِلْوَحْيِ فَلَا يَبْقَى فِيهِ مَكَانًا لِغَيْرِهِ**"[٤]، يَقُولُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: "**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ سُمِعَ**

---

[١] أخرجه المروزي رحمه الله في تعظيم قدر الصلاة (٢١٦)، وقال الهيثمي رحمه الله في **مجمع الزوائد** (٩٧/٧):[فيه] يحيى بن عثمان بن صالح وقد وثق، وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين، وبقية رجاله ثقات.

[٢] جبريل عليه السلام.

[٣] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٣٣٣).

[٤] **الإتقان في علوم القرآن** (١٦٠/١)، لجلال الدين السيوطي رحمه الله.

عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ"[1] وتأخذ النبي ﷺ حالة شديدة روحانية يغيب فيها عما حوله، ويثقل جسمه، حتى لتكاد الناقة التي يركبها تبرك[2]، وإذا جاءت فخذه على فخذ إنسان تكاد تَرُضُّهَا[3] [4]، ويتصبب عرقه، وربما يسمع له غطيط[5] كغطيط النائم، فإذا ما سري عنه وجد نفسه واعيا لكل ما سمعه من الوحي، وهذه الحالة أشد حالات الوحي على النبي ﷺ: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥].

الحالة الثانية: أن يتحول جبريل عليه السلام من الصورة الملكية إلى الصورة البشرية، فيأتي في صورة رجل، وكثيرا ما كان يأتي على صورة "دحية الكلبي"[6] كان من أجمل العرب وأنظفهم، وأحيانا يأتي على صورة أعرابي لا يعرف كما في حديث جبريل المشهور[7]، وفي هاتين الحالتين يقول ﷺ: "**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ، قالت عائشة** رضي الله عنها : **وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا**"[8].

- والقرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام ولم يأت منه شيء عن تكليم أو إلهام أو منام، أما ما ذكر عن أنس رضي الله عنه قال: "**بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ **ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً**[9]**، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟**

---

[1] رواه الترمذي رحمه الله في سننه (٣١٧٣)، وصححه ابن العربي رحمه الله في **أحكام القرآن** (٣١١/٣)، وضعفه الألباني رحمه الله في **ضعيف الجامع** (٤٣٥٢).

[2] أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده (٢٧٥٧٥) ، ولفظه: "إِذْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ الْمَائِدَةُ كُلُّهَا، فَكَادَتْ مِنْ ثِقَلِهَا تَدُقُّ بِعَضُدِ النَّاقَةِ"، وقال العلامة أحمد شاكر رحمه الله في **عمدة التفسير** (٦١٩/١): إسناده صحيح.

[3] تكسرها.

[4] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٨٣٢).

[5] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٧٨٩)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١١٨٠).

[6] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٨٠).

[7] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٠)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١١٨٠).

[8] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٣٣٣).

[9] نومة خفيفة.

قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿ **إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ** ﴾"[1]، فالمقصود من الإغفاءة الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي، وهي الغيبوبة عما حوله، وكذلك: "**لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ......، أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ**"[2]، ليس في هذا تصريح بنزول خواتيم سورة البقرة عن طريق تكليم الله، فلعل المراد إعلام الله له في هذا باختصاصه وأمته بما تدل عليه تمننا عليه في هذا الموقف (أي ما في خواتيم سورة البقرة من مصالح للأمة)، ألا ترى أنه أعطي الصلوات الخمس وفرضت مع أنها لم ينزل فيها قرآن هذه الليلة وأيضا الإسراء والمعراج كان قبل الهجرة بمكة، وسورة البقرة كلها مدنية؟! كذلك ما أخرجه الطبراني، قال رسول ﷺ: "**سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً، وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ، قُلْتُ: يَا رَبُّ، قَدْ كَانَتْ قَبْلِي رُسُلٌ، مِنْهُمْ مَنْ سَخَّرْتَ لَهُ الرِّيَاحَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى، قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَيْتُكَ؟ أَلَمْ أَجِدْكَ ضَالًّا فَهَدَيْتُكَ؟ أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؟ وَوَضَعْتُ عَنْكَ وِزْرَكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَبُّ**"[3]، فليس فيه أن الله أنزل هذه الآيات، وإنما كل ما فيها التمنن بالمنن، ولا سيما وألفاظ الحديث مغايرة للنص القرآني، والظاهر أن السورتين نزلتا قبل ذلك.

كيف تلقي النبي القرآن من جبريل؟

الذي نقطع به والله أعلم أن القرآن الكريم نزل في الحالة الأولى، وهي الحالة التي يكون فيها جبريل على ملكيته وتحول النبي ﷺ عن حالته، وهذا هو الذي يليق بالقرآن الكريم ولم تكن رواية تفيد بتلقي النبي ﷺ القرآن وجبريل في صورة رجل.

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٤٠٠).

[2] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٧٣).

[3] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الأوسط (١٢٢٨٩)، وصحح إسناده الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٥٣٨).

وأدلة أخرى تشير إلى هذا: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥]، وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [القيامة: ١٦]، قال: "**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ**"[1]، وهذه الشدة لن تكون إلا في الحالة الأولى.

وأدلة أخرى تفيد ذلك، وأيضا فلو أنزل شيء من القرآن وجبريل في صورة رجل لكان هذا مثارا للشك والتلبيس على ضعفاء الإيمان، ولكان فيه مستند للمشركين في قولهم: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

ما الذي نزل به جبريل على النبي ﷺ؟

الذي نقطع به أن القرآن الكريم كلام الله ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ [التوبة: ٦]، وأن الذي نزل بالقرآن هو جبريل من غير أن يكون له فيه شيء ما، ومن غير أن يزيد فيه حرفا أو ينقص منه حرفا من (كلام الله)، كذلك ليس للنبي ﷺ في القرآن شيء إلا التبليغ (أي لم يضف عليه شيء)، وهذا هو الحق، لا كالذين يَفْتَرون، ويختلقون، ويقولون إن الله أوحى إلى جبريل المعنى، ثم أن جبريل عبّر بهذه الألفاظ الدالة على المعاني بلغة العرب، أو أن جبريل أوحى المعنى للرسول وأن الرسول ﷺ هو الذي عبّر عن المعنى بلفظه، كل هذه خرافات؛ فقد اجتمعت كلمة الأئمة على أن القرآن لفظه ومعناه من عند الله، ولو جاز الزعم لما كان القرآن معجزا ولما كان متعبدا بتلاوته.

نزول جبريل بالسنة:

السنة بعضها بالوحي، وبعضها بالاجتهاد، بمعنى أن يجتهد النبي ﷺ ويقره الله تعالى، ويصوبه، أو يخطئه، وكل ذلك يدل على أنه لا ينطق عن الهوى.

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٧٥٢٤)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٤٤٨).

أما السنة التي نزلت بالوحي فمبناها المعنى لا اللفظ، إذ ليس لفظها معجزا ولا متعبدا بتلاوتها كالقرآن، ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى؛ لأن جبريل أداها بالمعنى.

أما وحي السنة:

١. فمنه ما يكون عن طريق أمين الوحي جبريل في إطار الحالة الملائكية، مثل: "**بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ وَهُوَ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاعَةً فَجَاءَهُ الْوَحْيُ، فَأَشَارَ عُمَرُ رضي الله عنه إِلَى يَعْلَى، فَجَاءَ يَعْلَى وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ بِهِ، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحْمَرُّ الْوَجْهِ وَهُوَ يَغِطُّ ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ: أَيْنَ الَّذِي سَأَلَ عَنِ الْعُمْرَةِ؟ فَأُتِيَ بِرَجُلٍ، فَقَالَ: اغْسِلِ الطِّيبَ الَّذِي بِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَانْزِعْ عَنْكَ الْجُبَّةَ وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجَّتِكَ**"[١].

٢. ومنه ما يكون عن طريق تحول جبريل إلى بشر، كما في حديث جبريل المشهور.

٣. وبعضه بالمكالمة، كما حدث ليلة الإسراء والمعراج.

٤. وبعضه بالقذف في القلب، قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي**[٢] **أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا**[٣] **فِي الطَّلَبِ**"[٤].

٥. وبعضه بالمنام، فرؤيا الأنبياء حق، مثل: رؤيا إبراهيم أنه يذبح ولده إسماعيل عليهما السلام[٥]، ورؤيا النبي ﷺ بدخول المسجد الحرام[٦].

---

[١] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٥٣٦).

[٢] نفسي.

[٣] بتؤدة واعتدال.

[٤] أخرجه الشهاب في مسنده (١١٥١)، وصححه الألباني رحمه الله في تخريج كتاب **مشكلة الفقر** (١٥).

[٥] سورة الصافات: ١٠٢.

[٦] سورة الفتح: ٢٧.

الحِكَمُ من نزول القرآن منجما مفرقا

الحكمة الأولى:

تثبيت فؤاد النبي ﷺ، وتطمين قلبه وخاطره: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢** ﴾ [الفرقان: ٣٢]

وهذه حكمة من أَجَلِّ الحكم، ويندرج تحت هذه الحكمة:

أ. تقوية قلب النبي ﷺ، وإلهاب حماسه، وتسليته، بسبب تكرار نزول الوحي، والأمثلة على ذلك:

- كان النبي كثيرا ما يتحسر ويحزن: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦** ﴾[الكهف: ٦]، فكانت تنزل الآيات مسلية له، فتارة تنهاه عن ذلك ﴿ **فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨** ﴾[فاطر: ٨].
- **تارة تبين له** أن هدايتهم على الله ﴿ ۞ **لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ** ﴾[البقرة: ٢٧٢].
- كذلك إذا آذاه قومه نزلت الآيات داعية له إلى التحمل: ﴿ **فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ** ﴾ [الأحقاف: ٣٥].
- أو تنزل الآيات قاصة على النبي ﷺ أخبار الأنبياء مع أممهم، وما لاقوه منهم من عنت ومشقة، مثل: قصة نوح وإبراهيم ولوط وهود ﴿ **وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ** ﴾[هود: ١٢٠].
- وتارة تنزل الآيات بوعيد المكذبين للأنبياء ﴿ **أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا**

﴿وَهُمۡ نَآئِمُونَ ٩٧﴾ [الأعراف: ٩٧].

وكان من ثمرة هذا التثبيت أن أبدى النبي ﷺ الثبات، والشجاعة، والوثوق بالله، كقوله للصديق في الغار: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، وكذلك في ثباته في أحد وحنين.

ب. تيسير حفظه وفهمه على النبي ﷺ، فقد كان حريصا على ذلك غاية الحرص ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة: ١٦ – ١٩]، ومن الطبيعي أن نزول القرآن مفرقا أدعى إلى سهولة حفظه وفهمه، وغاية ما وصل إليه أهل التربية في حفظ النصوص الطويلة أن تحفظ قطعا قطعا، وهذا المعنى التربوي ما كان يجول بخاطر بشر في هذا العصر وفي هذه البيئة البدوية.

الحكمة الثانية:

التدرج في تربية الأمة دينيا، وخلقيا، واجتماعيا، وعقيدة، وعلما، وعملا: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦].

ويندرج تحت هذه الحكمة ما يأتي:

أ. التدرج في انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة:

فكانوا يعبدون الأصنام، ويشركون بالله، ويسفكون الدماء، ويشربون الخمر، ويزنون، وما إلى ذلك من العادات التي يصعب أن تنتهي بمجرد النهي عنها مرة واحدة، فإن ذلك يشق على النفس، فلو نزل القرآن جملة واحدة وطلبهم بالتخلي عن هذا لله لما استجاب إليه أحد، لذلك اقتضت الحكمة أن يتدرج معهم في انتزاع المنكر واحدا بعد الآخر، كما حدث في تحريم الخمر فنزلت: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ

﴿لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩] فشربها قوم وتركها آخرون، ثم إن بعض المسلمين صنع طعاما ودعا أصحابه، فأكلوا وشربوا، ثم قام أحدهم ليصلي فقرأ: (قل أيها الكافرون أعبد ما تعبدون) فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، فكانوا يتركونها عند الصلوات والأوقات القريبة منها، وبذلك صار من السهل تحريمها نهائيا، فقد صنع بعض المسلمين طعاما فأكلوا وشربوا وتشاجروا، فشج أحدهم رأس الآخر، فقال الفاروق عمر: "**اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا**"[1]، فحرمها الله تحريما باتا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١].

ب. التدرج في تثبيت العقائد الصحيحة، والأحكام التعبدية، والآداب، والأخلاق؛ فبدأ معهم بالإيمان بالله وصفاته، فإذا ما آمنوا دعاهم إلى الإيمان باليوم الآخر، ثم بالإيمان بالرسل والملائكة، حتى إذا ما اطمأنت قلوبهم بالإيمان سهل عليهم تقبل الأوامر والتشريعات التفصيلية؛ لذلك كان مدار الآيات في القسم المكي على إثبات العقائد والفضائل التي لا تختلف باختلاف الشرائع، بخلاف القسم المدني فكان مدار التشريعات فيه على الأحكام العملية، والتشريعات التفصيلية، وتفصيل ما أجمل قبل ذلك من الآداب والفضائل، وقد أشارت إلى ذلك السيدة الفاضلة عائشة رضي الله عنها فقالت: "**إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الْخَمْرَ**

[1] أخرجه النسائي رحمه الله في سننه (٥٥٥٥)، صححه الألباني رحمه الله في صحيح النسائي (٥٥٥٥).

أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا"[1]، ومما لا شك فيه أن هذه السياسة في إصلاح الشعوب وتهذيبها من عند الله، فذلك صنع الحكيم العليم.

ج. تيسير حفظه وفهمه على الأمة: فقد أوجب الله على المسلمين حفظ ألفاظه، كما أوجب عليهم حفظ معانيه، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[محمد: ٢٤]، فاقتضت الحكمة أن ينزل مفرقا، حتى إذا ما نزلت قطعة منه أمكنهم أن يحفظوها ويجيدوا فهمها، فكان من الصعب أن يحفظوا القرآن جملة واحدة؛ وذلك لانشغالهم بإقامة الدين، والدفاع عن دعوته، ومجاهدة المشركين، وكذلك انشغالهم بمعايشهم.

د. تثبيت قلوب المؤمنين وتعويدهم على الصبر: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[البقرة: ٢١٤]، وقد ذكر عطاء: أن المسلمين لما هاجروا إلى المدينة، وتركوا الأهل والوطن والمال، وآثروا إرضاء الله ورسوله ﷺ وتعرضوا لألوان الإيذاء والجهد والفقر، شق ذلك على نفوسهم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٢].

ومن الطبيعي أن دواعي هذا التذكير والتوجيه لم تكن في وقت واحد، بل كانت في أزمنة متعددة.

الحكمة الثالثة:

مجاراة الحوادث، والنوازل، والأحوال، في تفرقها وتجددها، يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٣].

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٩٣).

ويندرج تحت هذه الحكمة:

أ. بيان حُكم الله سبحانه وتعالى في الأقضية والوقائع التي تحدث بين المسلمين، مثال ذلك:

حادثة الإفك فقد نزلت الآيات ببراءة السيدة عائشة ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ** ﴾ [النور: ١١]، وكذلك حادثة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها التي ظاهر منها زوجها، وجاءت تشتكي إلى الرسول ﷺ، وفي آخر الأمر أنزل الله تعالى: ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ [المجادلة: ١]، ومن الطبيعي أن الحوادث لم تقع في وقت واحد، فنزل القرآن في هذه الحوادث مفرقا.

ب. إجابات السائلين على أسئلتهم: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [الإسراء: ٨٥]، ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا** ﴾ [الكهف: ٨٣]، ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا** ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وهذه الأسئلة لم تكن في وقت واحد فنزل القرآن مفرقا

ج. تنبيه المسلمين من وقت لآخر إلى أخطائهم وأغلاطهم، وذلك مثل ما حدث في أُحُد: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، ومثل ما حدث في حنين لما اغتر المسلمون بكثرتهم ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ**

كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: ٢٥ – ٢٧].

وهذه الأغلاط لم تقع في وقت واحد فنزل القرآن الكريم منجما

د. تحذير المسلمين من المنافقين، والكشف عن خبيئة نفوسهم، مثل قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]، وأيضا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ ﴾ [النساء: ١٤٢].

الحكمة الرابعة:

بيان إعجاز القرآن الكريم على أبلغ وجه وآكده؛ لأن القرآن لو نزل جملة واحدة، لقالوا: "شيء جاءنا مرة واحدة، فلا نستطيع أن نعارضه، ولو أنه جاءنا قطعا قطعا لعارضناه"، فأراد ربك أن يقطع عليهم دابر[1] المعذرة والتعلل، فأنزله مفرقا، وهكذا بنزول القرآن منجما قد أعطاهم بعد كل نجم فرصة يعارضون فيها، فإذا ما عجزوا كان ذلك أدل على الإعجاز، كذلك لو أنك نظرت في مؤلفات البشر مهما بلغ الأديب، فإنك لا شك تجد تفاوتا بين ما ألفه في أول حياته وما ألفه في آخر حياته، أما القرآن فقد نزل مفرقا ومتباعدا بين أزمان نزوله، ومع ذلك فهو منسجم الشكل، لا تنبو[2] كلمة عن كلمة، ولا تنفر آية عن آية، بل كله في غاية الفصاحة والبلاغة، فتعين بذلك أن يكون القرآن من عند الله الخالق.

---

[1] آخر المعذرة، فقطع دابر القوم أي آخرهم

[2] تتجافى وتتباعد.

تتمة

كان القرآن الكريم ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات أو أكثر أو أقل، ولا يخالف ذلك ما رواه البيهقي (لو صح) أن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي خمسا خمسا[1]، فإن المقصود بذلك إلقاؤه على النبي بهذا القدر، أي يحفظه ثم يلقى إليه الباقي بهذا القدر خاصة.

[1] أخرجه البيهقي رحمه الله في شعب الإيمان (١٨٠٦)، ضعفه الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (٤٥١٥).

الوحي

ما هو الوحي؟

لغة: الوحي الإشارة، والكتابة، والمكتوب، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته لغيرك، وقال الراغب: "أَصْلُ الوَحْيِ الإشارَةُ السَّرِيعَةُ وذلكَ يكونُ بالكَلامِ على سَبيلِ الرَّمْزِ والتَّعْرِيضِ"[1]، يقول تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ١١] فهو أشار إليهم ولم يتكلم.

- ومنه الإلهام الغريزي ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل: ٦٨].
- ومنه إلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة كالوحي إلى أم موسى.

والخلاصة: أنه الإعلام الخفي السريع.

أما الوحي في الشرع

- فيعرف بالمعنى المصدري بأنه: إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع، أو كتاب، بواسطة أو بغير واسطة.
- ويعرف بالمعنى الحاصل بالمصدر[2]: بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من عند الله، سواء أكان الوحي بواسطة أو بغير واسطة؟
- ويعرف بمعنى الموحى به: وهو ما أنزله الله على أنبيائه، وعرفهم به من أنباء الغيب، والشرائع، والحكم، ومنهم من أعطاه كتابا، ومنهم من لم يعطه.

---

[1] تاج العروس، لمرتضى الزبيدي رحمه الله (١٧٣/٤٠).

[2] ما يترتب على الوحي.

ينقسم الوحي باعتبار معناه المصدري إلى ما يأتي

(لا باعتبار جبريل والنبي وحالهما بل باعتبار الوحي نفسه)

أولا: تكليم الله نبيه بما يريد من وراء حجاب:

١. إما في اليقظة، مثل ما حدث لموسى: ﴿ **وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا** ﴾ [النساء: ١٦٤]، ومثل ما حدث للنبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج، والسلف والمحققون على أن موسى ومحمدا -صلى الله عليهما وسلم- سمعا كلام الله حقيقة لا مجازا، والدليل الآية: ﴿ **وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا** ﴾ [النساء: ١٦٤].

فقد أجمع النحويون أن الفعل إذا أُكِّد بذكر المصدر انتفى احتماله للمجاز، إذن لا عبرة بما زعمته المعتزلة والأشاعرة، فالآية غير محتملة للتأويل.

٢. وإما في المنام، كما في حديث معاذ مرفوعا للنبي ﷺ: **"أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟** ...."[1] الحديث.

ثانيا: الإلهام أو القذف في القلب:

بأن يلقي الله أو الملك الموكل بالوحي في قلب نبيه ما يريد، مع تيقنه أن ما ألقي إليه من قِبَلِ الله تعالى، كما ورد في الحديث **"إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي[2] أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا[3] فِي الطَّلَبِ"**[4].

ثالثا: الرؤيا في المنام:

فرؤيا الأنبياء وحي، مثل رؤية إبراهيم أن يذبح ابنه، ورؤية النبي ﷺ أنهم سيدخلون البلد

[1] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٣٢٣٤)، وصححه الألباني رحمه الله في **السلسلة الصحيحة** (**٣٢٣٤**).

[2] نفسي.

[3] بتؤدة واعتدال.

[4] أخرجه الشهاب في مسنده (١١٥١)، وصححه الألباني رحمه الله في تخريج كتاب **مشكلة الفقر** (١٥).

الحرام وقد كان، وفي الحديث: "**أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ**"[1].

رابعا: تعليم الله أنبياءه بواسطة ملك:

واختص بذلك جبريل عليه السلام فهو أمين الوحي، وهذا القسم يعرف بالوحي الجلي، وقد بَيَّن الله سبحانه هذه الأقسام بقوله: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ [الشورى: ٥١].

والمراد بالوحي هنا الإلهام أو المنام، لمقابلته للقسمين الآخرين: التكليم من وراء حجاب، أو بواسطة رسول.

أما الوحي الذي بواسطة جبريل فله ثلاث حالات:

الأولى: حالة نادرة، وقد ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي لم ير جبريل على هذه الحالة -وهي الحالة التي خلقه الله عليها- إلا مرتين؛ مرة في الأرض وهو نازل من غار حراء، ومرة أخرى في السماء عند سدرة المنتهى ليلة المعراج.

الثانية: أن يأتي جبريل في صورة رجل كدحية الكلبي أو أعرابي.

الأخيرة: أن يأتي على صورته الملكية، وفي هذه الحالة لا يرى، ولكن يصحب مجيئه صوت كصلصلة الجرس، أو دوي النحل.

والوحي بجميع أحواله يصحبه علم يقيني ضروري من الموحى إليه بأن ما ألقي إليه من عند الله ليس من خطرات[2] النفس، وهذا العلم لا يحتاج إلى مقدمات وإنما هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية كالجوع، والعطش، والحب.

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٩٨٢)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٠).

[2] ما يخطر على النفس.

إمكان الوحي ووقوعه:

مبنى الوحي ومداره على أمرين:

الأول: وجود مُوحٍ وهو الله ﷻ أو الْمَلَك الذي يبلغ الوحي، والملك جسم نوراني لا يُرى، ولكنه قادر على التشكل بالأشكال المختلفة.

الآخر: وجود نفس بشرية صافية صالحة لتلقي الوحي من الله أو الملك.

أما **الأول**: فالله ﷻ قد قام الدليل على كمال وجوده، وأما الملائكة فقد أخبرت بهم الشرائع حتى الفلاسفة قديما وحديثا يقرون بوجود عالم غير محسوس وراء هذا العالم المحسوس، أما **الآخر**: وهو استعداد النبي ﷺ للتلقي عن الله أو الملك فلا بعد فيه، إذ الأنبياء لهم من سمو فطرتهم وصفاء أرواحهم وإعداد الله لهم ما يؤهلهم لتلقي الوحي.

بل إن العلم يؤيد الوحي وإمكانه:

- التنويم المغناطيسي وهو من المقررات العلمية الثابتة، كشفه الدكتور (مسمر) الألماني في القرن الثامن عشر واعترف العلماء به علميا بعد أن اختبروا به الآلاف المؤلفة من الخلق واطمأنوا إلى تجاربه، وفيه يتسلط المنوِّم على المنوَّم ويلقي الأول إلى الثاني ما شاء، بل بعد أن ينوّمه يلقي إليه بالكلام الذي فيه يغير اسمه، فيستيقظ وهو على عقيدة باسمه الجديد، أتظن أن المخلوق يستطيع أن يؤثر في نفس مخلوق آخر ذلك التأثير بواسطة التنويم المغناطيسي، ثم لا يستطيع مالك القوى والقدرة أن يؤثر في نفس من شاء من عباده بواسطة الوحي؟!!
- العلم الحديث استطاع أن يخترع من العجائب ما نعرفه ونشاهده من التليفون واللاسلكي، وعن طريق ذلك تمكن الإنسان أن يخاطب من كان في آفاق بعيدة عنه، وأن يُفهمه ما شاء، ويُرشده إلى ما أراد، فهل يعجز الإله القادر أن يوحي إلى بعض عباده بما شاء عن طريق الملك وغيره؟!!
- استطاع العلم أن يملأ بعض الأسطوانات من الجماد الجامد الجاهل بأصوات وقرآن وكلام

على وجه يجعله حاكيا له بدقة وإتقان، ألا يستطيع القدير أن يملأ بعض نفوس بشرية صافية من خواص عباده بكلام مقدس يهدي به خلقه؟!!

● إننا نرى بعض الحشرات تفعل أشياء، فتقول: أنى لها هذا؟ ومتى عرفته؟ وكيف كحيوان اسمه (أكسيكلوب) تعيش منفردة، وتموت بعد أن تبيض مباشرة، وتخرج صغارها على حالة ديدان لا أرجل لها، ولا تستطيع أن تحمي نفسها، ترى الأم متى حان وقت بيضها تعمد إلى قطعة خشب فتحفر فيها سردابا طويلا، فإذا أتمته أخذت في جلب ذخيرة إليه تكفي صغيرا واحدا مدة سنة من بعض الأزهار وبعض الأوراق السكرية، فتحشو بها قاع السرداب ثم تضع عليه بيضة واحدة، ثم تأتي بنشارة الخشب وتكون منها عجينة تجعلها سقفا على تلك البيضة، ثم تأتي بذخيرة أخرى تجعلها على ذلك السقف، ثم تضع بيضة أخرى، وهلم جرا حتى يفرغ بيضها، ثم تترك الكل وتموت، فمن ذا الذي علم هذه الحشرة الضعيفة تلك الصناعة المحيرة للعقل؟!! ومن أفهمها وهي تموت بعد أن تبيض مباشرة أن صغارها التي ستولد في حاجة إلى البقاء سنة في حالة ضعف وعجز؟!! لا ريب أن قيوم الوجود يؤتي هذه الكائنات علما بما يقيمها ويصلحها من غير طريق الحواس.

ومن العبث أن يثبت الباحث الطبيعي إلهاما تبعثه القدرة الإلهية إلى أحقر الحشرات ثم ينفيه عن النوع البشري، وهو أشد ما يكون حاجة إلى هذا الوحي والإلهام في حياتنا الفردية والاجتماعية.

وغير ذلك من الأدلة العلمية والعقلية التي تؤيد وقوع الوحي

الشبه التي أوردت على الوحي المحمدي

الشبه مصدرها من الماديين والحاقدين على الإسلام، بل سرت هذه الشبهة إلى كثير من المسلمين المرتابين وأغلبهم من المتعلمين في الغرب، فقد نفوا أن يكون وحيا من خارج نفس النبي ﷺ، وقالوا: "إنه وحي من داخل نفسه، فلا وجود للملك وإن منبع ذلك من نفسه، وليس فيه شيء جاء من علم الغيب، ويقولون: هذا الموحى الذي أخبر به محمد إنما هو إلهام كان يفيض من نفس النبي الموحى إليه لا من الخارج، ذلك بسبب منازع نفسه العالية، وسريرته الطاهرة، وقوة إيمانه بالله، وبوجوب عبادته، (كلمات حق يراد بها باطل) مع كراهيته للوثنية، والتقاليد الرديئة، كل هذا يكون في جملته تأثير يتجلى في ذهنه، ويحدث في عقله الباطن الرؤى والأحوال الروحية، فيتصور ما يعتقد وجوده إرشادا إلهيا نازلا إليه من السماء بدون واسطة أو بواسطة".

ثم ضربوا مثلا للوحي النفسي: قصة (جان دارك) الفتاة الفرنسية التي اعتقدت أنها مرسلة من عند الله لإنقاذ وطنها، وادعت أنها تسمع صوت الوحي، فأخلصت دعوتها، وتوصلت إلى رياسة جيش صغير تغلبت به على العدو، ثم ماتت غِبَّ[1] انتصارها لما خذلها قومها، وأخذها الأعداء وألقوها في النار حية، ولأجل أن يؤيدوا فكرتها فيما قالوه عن النبي ﷺ ذكروا مقدمات تخيلوها أو تصيدوها زاعمين أنها أساس.

هذه المقدمات هي:

١. أنه كان يصحب عمه أبا طالب في كثير من رحلاته، وأنه استفاد من هذه الرحلات مما سمعه من الأعراب الذين كانوا يسكنون في ديار ثمود ومدين، وما كان يسمعه من أخبار اليهود والنصارى من بحيرى الراهب الذي لقيه في مدينة بُصرى بالشام، وقالوا: "إنه كان من أتباع آريوس في التوحيد الذي كان ينكر ألوهية المسيح وعقيدة التثليث، ولا بد أن محمدا

---

[1] أي بعد انتصارها.

تعلم منه"، وغالى البعض، وقالوا: "إنه كان معلما له مصاحبا له بعد الرسالة".

٢. علاقة النبي ﷺ بورقة بن نوفل الذي كان يعرف العبرانية، وعلاقة ورقة بخديجة زوج النبي ﷺ، فلا بد أن يكون أخذ عنه بعض علم أهل الكتاب.

٣. انتشار اليهودية والنصرانية قبل الإسلام، وأن بعض الشعراء تنصروا قبل الإسلام في بلاد العرب، وسمعوا من أهل الكتاب عن قرب ظهور النبي ﷺ الذي بَشَّر به موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام واستغل النبي ﷺ ذلك لنفسه.

٤. زعموا أنه كان بمكة عبيد من اليهود والنصارى يتحدثون بكثير من القصص التي في كتبهم، فاستفاد منها النبي.

٥. كذلك رحلتي الشتاء والصيف التي كانت في قريش، واجتماعهم بالرهبان والأحبار، وكانوا يتحدثون عن قرب ظهور النبي ﷺ، فتعلقت نفس النبي ﷺ بما سمع.

٦. خلوته في غار حراء، والانقطاع إلى عبادة الله والتفكر، كل هذا كان سببا في صَقْلِ[1] نفسه، وامتلاء قلبه بالوحدانية، وما زال على هذا حتى أيقن أنه النبي المنتظر، وأما المعلومات التي جاءته عن الوحي فهي مستمدة من الينابيع التي ساقوها سابقا.

تفنيد[2] الشبهة:

من المعروف أنك إذا قمت بالرد على هذه المقدمات وأبطلتها تبطل الشبهة.

الرد على المقدمات الستة:

١. من المعروف الثابت الذي رواه أهل السير (ذلك المصدر الذي يأخذون منه) أن النبي ﷺ لم يصحب عمه إلا مرة واحدة وهو ابن تسع سنين وقيل اثنتي عشرة سنة، وأن الراهب بحيرى لما رآه تظله سحابة من الشمس ورأى بعض أمارات النبوة حذر أبا طالب من اليهود، ولم تذكر الروايات أنه سمع من الراهب، ولما أصبح رجلا تاجَرَ للسيدة خديجة

---

[1] الجلاء.

[2] قال ابن منظور رحمه الله في لسان العرب (٣/٣٣٨): "التفنيد: اللوم، وتضعيف الرأي".

رضي الله عنها في أموالها، وكان أمينا نشيطا منشغلا بالتجارة، ولم تنقل الروايات أنه اتصل بالرهبان، ولو فعل لنقل لنا كل صغيرة وكبيرة، وأما ما زعموه من أنه مر على مدين فباطل، فأين مدين من تجارتهم في الشام؟! والنبي ﷺ كيف مع رجاحة عقله يأخذ أخبار الأمم من أعراب في البوادي؟! ثم لو سلمنا جدلا بما قالوا، فهل هذه النُتَفُ[1] المبعثرة تكوِّن هذا القصص الوافي الدقيق في القرآن؟!

١. أما بخصوص ورقة فكلامهم باطل، إذ أن الروايات لم تنقل ما قالوه، بل عرف ورقة عن طريق خديجة رضي الله عنها في الحديث المعروف، وبَيَّن ورقة للنبي ﷺ أن هذا هو الناموس الذي نزل على موسى وقال: "**وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا**"[2]، ثم لم يلبث إلى أن مات كما أنه لم يعرف عن ورقة أنه كان من دعاة النصرانية.

٢. أما ما زعموه من انتشار اليهودية والنصرانية في بلاد العرب فباطل، فلم تنتشر، بل لم يكن بمكة يهودي ولا نصراني، وكانوا قليلين بجوار المدينة غير مؤثرين، ولم يتهود من العرب إلا قلة، والذين تنصروا أقل من القليل، وكانت معارفهم كمعارف أهل الكتاب مشوشة، فكيف تكون مصدرا لما جاء به الحبيب ﷺ؟! وأما قس بن ساعدة فقد مات قبل البعثة ولم يعرف أنه تنصر، وإنما كان من الحنفيين، ولم يصح أن النبي ﷺ رآه، ولو رآه وهو يتكلم هل يصح هذا أن يكون مصدرا للنبي ﷺ؟! وكذلك أمية بن أبي الصلت كان من الحنفيين، ولم يثبت قط أنه قابل النبي ﷺ، وقد عاش حتى أدرك النبوة وقد اشتد به الحقد والغضب أنه لم يكن هو النبي، ولم يؤمن، وقال ﷺ عنه لما سمع شعره: "**آمَنَ شِعْرُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ وَكَفَرَ قَلْبُهُ**"[3].

٣. أما ما زعموه من وجود عبيد من اليهود والنصارى؛ فهذه الشبهة أوغل في الكذب من

---

[1] يقول ابن منظور رحمه الله في لسان العرب (٣٢٣/٩): "رجل نُتَفَة، مثال هُمَزَة: ينتف من العلم شيئا ولا يستقصيه".

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٩٨٢)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٠).

[3] أخرجه ابن عساكر رحمه الله في تاريخ دمشق (٢٦٧/٩)، وضعفه الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (١٥)،.

سابقتها؛ لأنه لم يكن بمكة يهود ولا نصارى حتى يتعلم منهم النبي ﷺ، ولو كان كما يقولون لاتخذوها أعداؤه من المشركين حجة لهم، فإن المشركين أوردوا في معرض الخصام أضعف من هذه الشبهة، فقد كان بمكة حداد رومي يصنع السيوف وكان النبي ﷺ يقف يرى صنعته، فزعموا أنه ﷺ يتعلم منه، رغم أنه رومي ولسانه أعجمي، فردّ عليهم الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:١٠٣]، فلو كان كما يزعم منكرو الوحي يوجد اليهود والنصارى بقصصهم لكان هذا أدعى للمشركين أن يخوضوا فيه، ولكنهم لم يتكلموا في مثل هذا؛ لأنه لم يكن له وجود، فالبيئة المكية لم تكن بيئة مَعرفة، والنبي ﷺ أمي، وانتفى أخذه عن أهل الكتاب، فقد تعيّن أن يكون ما قاله النبي ﷺ من عند الله، وقد نبه الله سبحانه وتعالى أن النبي ﷺ ما كان يعلم هذا القصص ولا قومه، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩]، فلِمَ لَمْ يَرُدّ المشركون، ويقولوا: "بل كنا نعلمها" كما يزعم الملحدون؟!!

٤. أما بالنسبة لرحلتي الشتاء والصيف، وأن قريشا استفادوا بالتقائهم بأهل الكتاب، فالرد على هذا الكلام مثل الرد السابق، بالإضافة إلى أن مقصد قريش التجارة لا تلقي العلوم، ولو كان هدفهم علوم أهل الكتاب لوجدنا أن منهم من قد تهودوا أو تنصروا، ولكن لم يكن ذلك بل إن من تنصر في غير المكيين قلة لا تكاد تذكر.

٥. أما ما زعموه من أن خلوة النبي ﷺ وتعبده حتى تخيل مثل هذا الوحي فدعوى باطلة:

فأولا: النبي ﷺ ما كان يدور بخلده أنه نبي هذه الأمة: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ ﴾ [القصص: ٨٦].

ثانيا: النبوة ليست بالتمني، ولا بالرياضات الروحية، ولو كانت تنال بذلك لنالها أمية بن أبي الصلت وأمثاله ممن ترهبوا وتنسكوا.

ثالثا: أن سنة الكون تأبى أن تجعل نتيجة التعبد كل هذه العلوم والآداب والعقائد التي جاء بها الرسول ﷺ.

وبعد فهذه مقدماتهم في نفي الوحي، وقد رُدّ عليها فبطلت المقدمات، ويتبع ذلك بطلان لزومها وهي إنكار الوحي.

رد عام لفكرة الوحي النفسي

إن فكرة الوحي النفسي كما صوروه مبنية على وجود معلومات مدخرة في العقل الباطن، وإنها تظهر في صورة رؤى تقوى، فيخيل لصاحبها أنها حقيقة، فهل ما جاء به الرسول ﷺ من عبادات، ومعاملات، وحدود، واقتصاد، وأخلاق، وآداب، وأحوال السلم والحرب كان في عقله الباطن ويعرفه؟!! بالطبع لا وذلك للآتي:

- ما جاء به النبي ﷺ في العقائد يعتبر متناقضا لما كان سائدا في العالم، والسائد كانت الوثنية والمجوسية والتثليث.
- جاء النبي ﷺ بتشريعات ما عرفت في الكتب السابقة.
- اشتمال القرآن على أسرار في الكون والآفاق ما كانت تخطر على بال بشر قط.
- انقطاع الوحي فترة من الزمان، فكيف سكت النبي ﷺ طوال هذه المدة وهو صاحب العقل الباطن المملوء بالمعارف؟!!

الرد على قصة جان دارك

أولا: جان دارك لم تدع النبوة، ولم يظهر على يديها معجزة، إنما هي فتاة قوية القلب مرهفة الإحساس، تلاقى شعورها الديني والسياسي، فاستنهضت قومها للجهاد، وأهل فرنسا من السهل أن تلهب كفاحهم، فقد ساقهم نابليون إلى الموت بكلمات شعرية.

كذلك أنها بعد ذلك زال عنها ما كانت فيه من تخيلات وحماسة، ثم هوجمت، وانكسرت،

وأسرت، وقتلت، فأين حال هذه الفتاة بالنبوة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام؟!!

إن حال هذه الفتاة يشبه الدعوات الباطلة، مثل: من زعم أنه المهدي المنتظر، ودعوة الباب الإيراني والبهاء والقادياني.

شبهة أخرى على الوحي المحمدي

فمن المستشرقين والمبشرين من زعموا أن الحالة التي كانت تعتري النبي ﷺ من غيابه عن الوعي، وسماع غطيط منه كغطيط النائم، يقولون: "إنها حالة صرع وليست وحيا".

والرد على هذه الفرية:

١. كان النبي ﷺ أصح الناس بدنا، وأقواهم جسما، وبلغ من قوته أنه صارع ركانة بن عبد يزيد فصرعه، وكان ركانة مصارعا ماهرا قويا، قال للنبي ﷺ: "إن صرعتني أسلمت" وقيل إنه أسلم عقب ذلك[١]، والمصاب بالصرع لا يكون بمثل هذه القوة، وإليك شهادة رجل غريب عن الإسلام ولكنه منصف، وهو الكاتب الأجنبي بودلي قال: "لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي كان يتمتع بها محمد ﷺ حتى قبل وفاته بأسبوع واحد، وإن كان ممن تنتابه حالات الصرع لصار مجنونا، وإن كان هناك مَنْ يوصف بالعقل ورجاحته، فهو محمد".

٢. إن مريض الصرع يصاب بآلام في كافة أعضاء جسمه، ويظل بعدها حزينا، فلو كان ما يعتري النبي ﷺ صرعا لأسف لذلك، وحزن بوقوعه، ولسعد بانقطاعه، ولكن الأمر على خلاف ذلك فلما فتر الوحي عنه ﷺ حزن حزنا شديدا وكان يترقبه.

٣. الوحي ما كان يأتيه على هذه الحالة فقط، بل على حالات أخرى (كما سبق) كان فيها في حالته الطبيعية.

٤. إن الثابت علميا أن المصروع حالة الصرع يتعطل تفكيره وإدراكه تماما، ويصبح بلا

[١] أخرجه البيهقي رحمه الله في السنن الكبرى (١٠/١٨)، وقال الألباني رحمه الله في إرواء الغليل: مرسل صحيح (٥/٣٢٩).

إحساس، لكن الرسول ﷺ كان بعد الوحي يتلو آيات بينات، وتشريعات محكمات، عظات بليغات، وأخلاقا عظيمة، وكلاما غاية في الفصاحة تحدى به الناس قاطبة عربهم وعجمهم، فهل يعقل من المصروع أن يأتي بمثل هذا؟!

٥. لقد أثبت الطب الحديث أن الصرع أنواع، والنوبات الصرعية تختلف تبعا لمراكز المخ التي تبدأ فيها التغيرات الكهربائية، وأهم أنواع الصرع ما يسمى بالنوبات الصرعية النفسية، وهو ما يشبه أن يكون النوع الذي افتراه الخصوم على الرسول ﷺ، وقد أثبت الطب أن هذا النوع حالة تَمُرُّ بذهن المريض ذكريات، وأحلام مرئية، أو سمعية، أو الاثنان معا تسمى (بالهلاوس)، ولا بد أن يكون المريض قد عاشها، والنوبة الصرعية تنبيه لهذه الصور التي مر بها المصروع، فتطبيق ما قاله الطب الحديث على ما كان يعتري النبي ﷺ، نجده يردد آيات لا يمكن إطلاقا أن يكون قد سمعها أو عاشها، آيات تتكلم عن الملائكة، وعن خلق آدم، وآيات تتكلم عن أحوال الأمم السابقة، وآيات تتحدث عن أهوال يوم القيامة.

٦. إن هؤلاء الذين يطعنون في الوحي المحمدي (ومنهم من ينتمي لأهل الكتاب) ينالون من جميع الأنبياء: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾[النساء: ١٦٣]

إن هؤلاء الطاعنين يخربون بيوتهم قبل أن يخربوا بيوت غيرهم، إن هؤلاء الطاعنين أحد رجلين: إما رجل مخرف، وإما رجل مخرب مدمر يريد هدم الأديان.

وبهذا تدحض هذه المحاولات الرخيصة المنخفضة للنيل من الوحي المحمدي

وبالله التوفيق

المعجزة

القرآن الكريم الذي أُوحِي للنبي ﷺ هو المعجزة التي بها تثبت نبوة المصطفى ﷺ.

فالمعجزة هي أَمْر يعجز البشر متفرقين أو مجتمعين عن الإتيان بمثله، فهي أمر خارق للعادة عن حدود الأسباب المعروفة، يؤيد الله تعالى به مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهدا على صدقه.

فقد جاء موسى عليه السلام بمعجزته، عصا من الخشب لا روح فيها، ولا حركة، ولا لين، ولا رطوبة، ثم ألقاها باسم الذي أرسله (باسم الله) ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾[طه: ٢٠]، بينما الأمة التي تحداها بذلك كانت قد تفوقت في السحر وحذقته، ولهذا كان أول من آمن به السحرة؛ لأنهم أعرف بالسحر.

وكذلك في معجزة عيسى عليه السلام وإبرائه الأكمه[١] والأبرص، وإحيائه الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير بإذن الله، أمام قوم نبغوا في الطب أيما نبوغ ومهروا فيه أيما مهارة.

وقل مثل ذلك وأكثر من ذلك في خاتم الأنبياء سيدنا ومولانا محمد ﷺ وما جاء به من آيات بينات ومعجزات واضحات، وحسبك القرآن وحده برهانا وحجة قاطعة تقوم في فم الدنيا إلى يوم الساعة تتحدى العالم في قوم كانوا أئمة الفصاحة، وفرسان البلاغة، بضاعتهم الكلام والتفنن في إجادته، حتى بلغوا في هذا الباب شأوا[٢] لا يبارى، ومع ذلك لم يستطيعوا زَرَافَات ووحدانا أن يأتوا بآية من مثله، هذا هو إعجاز القرآن وهذه هي المعجزة.

ومع هذا أتى هؤلاء المفتونون بشبهات

[١] الكمه: هو العمى الذي يولد به الإنسان.

[٢] قال ابن منظور رحمه الله في لسان العرب بتصرف (١٤/٤١٧): "الشأو: الغاية والسبق".

الشبهات ودحضها

الشبهة الأولى:

إن المعجزات شأنها شأن كثير من المخترعات، فإذا كان فيها عجب فكذلك آثار العلم ومدهشاته فيما نرى ونسمع.

الرد:

المعجزة ليست لها أسباب معروفة حتى تلتمس ويؤتى بمثلها، أما هذه المخترعات فإن لها أسبابا معروفة عند أصحابها، ويمكن معرفتها لمن لم يعرفها بسهولة متى التمسها من طريقها.

الشبهة الثانية:

إن المعجزة كالسحر والشعوذة وما إليهما، إن هي إلا تخييلات وتضليلات.

الرد:

المعجزة نفحة من نفحات الحق تخرج عن أفق الأسباب المعتادة والغايات المألوفة، أما السحر وما أشبهه فإنها فنون خبيثة ذات قواعد وأوضاع يعرفها كل من أَلَمَّ بها، ولهذا كان أول من آمن بموسى عليه السلام هم السحرة أنفسهم؛ لأنهم أعلم بهذا الفرق الواضح.

الشبهة الثالثة:

إن خرق الله لعاداته على أيدي رسله خروجا عن النظام العام الذي تقتضيه الحكمة وتناط به المصلحة.

الرد:

المعجزة إن كانت خارجة عن حدود الأنظمة المعتادة لا تعتبر خروجا عن النظام العام الذي تقضي به الحكمة وتناط به المصلحة، بل هي من مقتضيات ذلك النظام، وأي حكمة أجل من تأييد الحق وأهل الحق ليهتدوا إلى الطريق القويم بواسطة تلك المعجزات.

الشبهة الرابعة:

إن هذا الوحي الذي تدّعونه وتدّعون تنجيمه جاء بهذا القرآن غير مرتب ولا منظم، فلم

يفرد كل غرض من أغراضه بفصل أو باب شأن سائر الكتب المنظمة.

الرد:

إن مخالفة القرآن لأنظمة الكتب المؤلفة لا تعتبر عيبا فيه ولا في وحيه وموحيه، بل هي على العكس دليل مادي على أنه ليس بكتاب وضعي بشري، بل هو مجموع إشراقات من الوحي الإلهي الأعلى، ثم إن هذا المزيج الطريف الذي نجده في كل سورة أو طائفة منه له أثر بالغ في تشويق سامعه واستفادة المستفيد بأنواع متنوعة منه، فما أشبه كل مجموعة من القرآن بروضة يانعة ينتقل الإنسان بين زهورها، فبين جمل القرآن وآياته وسوره تناسب بارع وارتباط محكم ينتهي إلى حد الإعجاز، فالآيات على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا.

الشبهة الخامسة:

إن إعجاز القرآن للعرب لا يدل على أن القرآن كلام الله، بل هو كلام محمد نسبه إلى ربه ليستمد قدسيته من هذه النسبة، وإعجازه جاء من ناحية أن محمدا كان الفرد الكامل في بيانه بين قومه، فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثل ما أتى شأن الرجل الفذ بين أقرانه في كل عصر.

الرد:

الإجابة الأولى: إن كل من أوتي حظا من حسن البيان وذوق البلاغة يفرق بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث النبوي تفريقا كبيرا، يمثل الفرق بين مقدور الخالق ومقدور المخلوق، ولو كان لهذه الشبهة شيء من الوجاهة لكان أولى الناس بالنقد هم العرب الخلص الذين شافههم القرآن.

الإجابة الثانية: إن القرآن لم يأت الناس من الخلف بل جاء من أوسع الأبواب وتحداهم من الناحية التي نبغوا فيها، فلو كان القرآن مصدره نفس محمد ﷺ كما يقول أولئك الملاحدة لأمكن هؤلاء العرب البارزين في البيان أن يعرفوا كلامه بما أوتوا من ملكة النقد، ثم لأمكنهم أن يجاروه ولو شوطا قريبا إن لم يمكنهم مجاراته شوطا بعيدا، ومعلوم أن النابغة الفذ في كل

عصر من العصور يستطيع أقرانه بيسر وسهولة أن يحاكوه مجتمعين ومنفردين في الشيء القليل على فرض أنهم لا يستطيعون معارضته في الجميع.

الإجابة الثالثة: إن القرآن لو كان مصدره نفس محمد ﷺ لكان من الفخر له أن ينسبه لنفسه، ولأمكن أن يدّعي الألوهية فضلا عن النبوة، ولكان مقدسا في نظر الناس وهو إله، أكثر من قداسته وهو نبي.

الجواب الرابع: إن هؤلاء الملاحدة غاب عنهم أنهم يتحدثون عن أكرم شخصية عرفها التاريخ طهرا، ونبلا، وصدقا، وذهلوا أنهم يمسّون أسمى مقام اشتهر أمانة وصدقا، فكان قومه يقولون هذا الصادق الأمين، وما كان هذا الأمين ليذر الكذب على الناس ثم يكذب على الله.

الإجابة الخامسة: هذه الشبهة وليدة الغفلة عن مضامين القرآن العلمية وأنبائه الغيبية، فالآتي بهذا القرآن رجل أمي في أمة أمية، كانت في أظلم عهود الجاهلية، فكيف يأتي بكل هذه الحقائق العلمية والإعجازية التي أثبتوها هم بعد ذلك بقرون طويلة؟!

ثم إن القرآن سجل على النبي ﷺ من أخطاء في بعض اجتهاداته، ومن عتاب نُحِسُّ تارة بلطفه وأخرى بعنفه، ولو كان هذا التنزيل كلامه ما سمح أن يسجل على نفسه ذلك كله.

﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١].

المبحث الثالث

أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه

هذا المبحث لا مجال للعقل فيه، بل مداره النقل والترجيح بين الأقوال.

ومن فوائد العلم بهذا المبحث:

١. معرفة الناسخ والمنسوخ:

فيما إذا اختلف الحكم في آيتين ولم يمكن الجمع بينهما، فنعرف أن المتأخر منهما ناسخ للمتقدم.

٢. معرفة تاريخ التشريع الإسلامى:

مثل ما إذا عرفنا أن الآيات التي نزلت في فرضية الصلاة بمكة قبل الهجرة، وآيات فرضية الزكاة والصوم كانت في السنة الثانية بعد الهجرة، وآيات فرضية الحج السنة السادسة بعد الهجرة، أمكننا أن نرتبها ترتيبا تشريعيا، فنقول: "إن أول ما فرض الصلاة، ثم الزكاة، ثم الحج".

وكذلك لما نعلم أن آية ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ﴾[الحج: ٣٩] نزلت بالمدينة في السنة الثانية، علمنا أن تشريع الجهاد كان بالمدينة بالسنة الثانية من الهجرة.

٣. معرفة التدرج في التشريع:

فنصل بذلك إلى حكمة الله سبحانه العالية، كمعرفتنا بترتيب الآيات التي نزلت بشأن الخمر، وكذلك معرفتنا أن آيات العقيدة نزلت أولا، وأن الآيات التي نزلت بشأن التشريعات التفصيلية نزلت بعدها.

الأولية والآخرية إما مطلقة وإما مقيدة

أولا: أول ما نزل من القرآن مطلقا:

اختلف العلماء في ذلك على أقوال أربعة:

القول الأول:

١. أول ما نزل ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾[العلق: ١ – ٥]، ويدل على ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفيه أن أول ما بُدِئَ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة ثم ذكرت رضي الله عنها ما كان من جبريل عليه السلام، وأنه قال له: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) ﴾ الآيات[1].

٢. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول سورة نزلت من القرآن ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[2] ومرادها صدر السورة.

٣. عن أبي رجاء العطاردي قال: "**كَانَ أَبُو مُوسَى رضي الله عنه يُقْرِئُنَا، يُجْلِسُنَا حِلَقًا حِلَقًا، وَعَلَيْهِ بُرْدَانِ أَبْيَضَانِ، فَأَقْرَأَنِي هَذِهِ السُّورَةَ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾، وَقَالَ: هَذِهِ أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**"[3].

القول الثاني:

أول سورة قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) ﴾[المدثر: ١ – ٥].

فعن يحيى بن أبي كثير، قال: "**سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ أَوَّلُ، فَقَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا**

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٩٨٢)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٠).

[2] أخرجه البيهقي رحمه الله في السنن الكبرى (١٧٧٢٤)، وقال في **دلائل النبوة** (٢/١٥٥): إسناده صحيح.

[3] أخرجه الفاكهي رحمه الله في أخبار مكة (٢٣٠٢)، قال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد: رواه الطبراني، رجاله رجال الصحيح (٧/١٤٢).

﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، فَقُلْتُ: أُنْبِئْتُ أَنَّهُ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ أَوَّلُ، فَقَالَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾"[1] الحديث.

وقد أجاب أصحاب القول الأول بأجوبة، **أولها**: أن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ أول ما نزل بعد فترة انقطاع الوحي، أما ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ أول ما نزل مطلقا.

ويؤيد هذا التأويل حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "**سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَئِثْتُ مِنْهُ رُعْبًا، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ إلى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾**"[2].

فقوله وهو يتحدث عن فترة الوحي: "**فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ**" يدل على تأخر هذه القصة عن قصة حراء.

الثاني: أن السؤال كان عن نزول السورة كاملة، فبيّن أن سورة المدثر نزلت بكاملها قبل نزول تمام سورة اقرأ، فإن أول ما نزل منها صدرها.

الثالث: أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار، وعبّر بعضهم عن هذا بقوله: "أول ما نزل للنبوة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾، وأول ما نزل للرسالة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾".

الرابع: أن المراد أول ما نزل بسبب متقدم، وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب، وأما اقرأ فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم، ذكره ابن حجر[3].

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٢٤)، ورواه مسلم في صحيحه (١٦١).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٢٥)، ورواه مسلم في صحيحه (١٦١).

[3] فتح الباري (٦٧٨/٨)، لابن حجر رحمه الله.

الخامس: أن جابرا رضي الله عنه استخرج ذلك باجتهاده، وليس هو من روايته، فيقدم عليه ما روته عائشة رضي الله عنها، قال الكرماني رحمه الله: "وأحسن هذه الأجوبة الثاني والأخير".

القول الثالث:

إن أول ما نزل من سورة الفاتحة وهذا القول للزمخشرى، يدل عليه ما قاله النبي ﷺ لورقة بن نوفل: "**إِذَا خَلَوتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً خَلْفِي: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَنْطَلِقُ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، فَإِذَا أَتَاكَ فَاثْبُتْ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي، فَلَمَّا خَلَا نَادَاهُ يَا مُحَمَّدُ قُلْ:** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١ – ٢]، **حَتَّى بَلَغَ** ﴿وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧]"[1].

ويجاب عن هذا الحديث بأنه مرسل، وكذلك ليس فيه التنصيص على أن الفاتحة أول ما نزلت.

القول الرابع:

إن أول ما نزل قوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: ١].

ووردت في ذلك آثار لا تنهض لمعارضة حديث عائشة رضي الله عنها المرفوع الذي المتفق عليه.

إزالة الإشكال:

حديث أمّنا عائشة رضي الله عنها قالت: "**إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**"[2] فليس في صدر سورة اقرأ ذكر الجنة والنار ولا في السورة كلها.

والجواب: أن (مِن) مقدرة في الكلام (أي من أول ما نزل)، ومرادها رضي الله عنها سورة المدثر فإنها أول ما نزل بعد فترة الوحي، وفي آخرها ذكر الجنة والنار، فلعل آخرها نزل قبل نزول بقية اقرأ.

---

[1] أخرجه الآجري رحمه الله في الشريعة (٩٧٣)، وقال البيهقي رحمه الله في دلائل النبوة: منقطع (١٥٨/٢).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٩٣).

مختصر ما ذكره السيوطي[1] في أوائل مخصوصة

- أول ما نزل في القتال: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "**هِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ**: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾[الحج: ٣٩]"[2].
- أول ما نزل في شأن القتل: آية الإسراء: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾[الإسراء: ٣٣].
- أول ما نزل في الخمر: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "**نَزَلَتْ فِي الْخَمْرِ ثلاث آيَاتٌ: فَأَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ**: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾[البقرة: ٢١٩]"[3].
- أول ما نزل في الأطعمة بمكة: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾[الأنعام: ١٤٥].
- أول ما نزل من السور التي فيها سجدة: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "**أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ** ﴿وَالنَّجْمِ﴾[النجم: ١]"[4].
- "**أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ آلِ عِمْرَانَ**: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨]، **ثُمَّ أُنْزِلَتْ بَقِيَّتُهَا يَوْمَ أُحُدٍ**"[5].

ثانيا: آخر ما نزل من القرآن مطلقا:

ليس في هذا أحاديث مرفوعة، وإنما آثار مروية عن بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

القول الأول:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]: "**أَنَّهَا**

---

[1] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي رحمه الله (٩٩/١).

[2] أخرجه النسائي رحمه الله في سننه (٣٠٨٥)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الموارد (١٤٠٦).

[3] أخرجه أبو داود الطيالسي رحمه الله في مسنده (٢٠٦٩)، أشار العلامة أحمد شاكر رحمه الله في مقدمة عمدة التفسير إلى صحته (٧٢٥/١).

[4] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٨٦٣).

[5] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي رحمه الله (١٠٠/١).

آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"[1].

رواه النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن مردويه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن جرير عن طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، وذكر البغوى ذلك في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما.

و هذا الرأى هو الراجح لما يأتى:

١. لم يحظ قول من الأقوال التي سوف تذكر بكثرة هذه الآثار.

٢. ما تشير به الآية أنسب للختام.

٣. في أكثر من طريق لهذا القول يظهر تحديد الوقت الذي نزلت فيه، ولم يظفر قول غيره بمثل هذا التحديد.

القول الثاني:

آخر ما نزل ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴿٢٧٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **"آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ آيَةُ الرِّبَا"**[2]، وأخرج البيهقي عن عمر رضي الله عنه مثله.

ويرد على هذا القول بثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن المراد: آخر آية نزلت في شأن الربا هذه الآية.

الوجه الثانى: أنها أواخر الآيات نزولا وليست آخر آية، ويؤيد ذلك أكثر من أثر: فعن عمر رضي الله عنه نفسه قال: **"إِنَّ آخِرَ مَا نَزَلَتْ آيَةُ الرِّبَا"**[3]، والظاهر أن هذا هو مراد ابن عباس رضي الله عنهما.

الوجه الثالث: المراد بقول ابن عباس رضي الله عنهما "آية الربا": أي الآية التي ختمت بها آيات الربا

---

[1] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (١٢٠٤٠)، قال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد (٦/٣٢٧): [روي] بإسنادين رجال أحدهما ثقات.

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٥٤٤).

[3] أخرجه ابن ماجه رحمه الله في سننه (٢٢٧٦)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (٢٢٧٦).

وهي ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾.

القول الثالث:

آخر آية هي آية الدَّيْن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ ﴾[البقرة: ٢٨٢]، وروي ذلك عن الزهري وابن المسيب[1].

ويجاب على ذلك: أنها آخر آية نزلت في المعاملات، أي آخرية مقيدة لا مطلقة.

القول الرابع:

آخر آية: ﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ ﴾[النساء: ١٧٦]، وآخر سورة براءة[2].

ويجاب بأن سورة براءة آخر ما نزل في شأن القتال، وآية الكلالة آخر آية في شأن المواريث.

القول الخامس:

آخر آية: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا ﴾[النساء: ٩٣].

ويجاب عن ذلك بأنها آخر ما نزل في حكم قتل المؤمن عمدا، ويدل على ذلك أثر ابن عباس رضي الله عنهما: **"نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا ﴾ هِيَ آخِرُ مَا نَزَلَ وَمَا نَسَخَهَا شَيْءٌ"**[3]، فقوله: **"وَمَا نَسَخَهَا شَيْءٌ"** يدل على آيات نزلت بعدها.

القول السادس:

آخر ما نزل ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ

---

[1] أخرجه ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره (٥/٦٨)، وقال العلامة أحمد شاكر رحمه الله في عمدة التفسير (١/٣٣٨): إسناده إلى سعيد بن المسيب صحيح، ولكنه حديث مرسل، وقال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (١/٤٥٥): إسناده صحيح.

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٦٥٤).

[3] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٦٩٠).

﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٨ – ١٢٩][1] .

ويجاب بأن هذه الآية آخر ما نزل من سورة براءة.

القول السابع:

آخر ما نزل سورة المائدة[2] .

يجاب عن ذلك أنها آخر سورة نزلت في الحلال والحرام، ولم ينسخ فيها شيء.

القول الثامن

آخر سورة نزلت هي ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر: ١]، روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما[3] .

ويجاب عن هذا أنها آخر سورة نزلت بتمامها في حجة الوداع، أو أنها آخر ما نزل مشعرا بوفاة النبي ﷺ.

خطأ مشهور

أن آخر آية نزلت ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، وهذا زعم غير صحيح، ولم يقل أحد قط من العلماء إنها آخر ما نزل، وأما تفسير الإكمال في الدين في الآية للمفسرين في فهم ذلك رأيان:

الأول: المراد بإكمال الدين إنجاحه وإقراره وإظهاره على الدين كله بفتح مكة وكسر شوكة المشركين.

الآخر: المراد بإكمال الدين: إكمال الأحكام، والحلال والحرام، ولا يمنع من ذلك أن تنزل آيات ليست من آيات الأحكام.

---

[1] أخرجه الحاكم رحمه الله في المستدرك (٢/٣٦٨)، وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

[2] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٣٠٦٣)، وقال: حسن غريب، وحسن إسناده الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٣٠٦٣).

[3] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٣٠٢٤).

ثانيا: أول ما نزل وآخر ما نزل مقيدا:

١. من ذلك آية الخمر:

أول ما نزل فيها: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾[البقرة: ٢١٩].

وآخر ما نزل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ ﴾[المائدة: ٩٠] إلى قوله تعالى ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[المائدة: ٩١].

٢. القتل:

أول ما نزل: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾[الإسراء: ٣٣].

وآخر ما نزل: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[النساء: ٩٣].

٣. أول سورة نزلت بمكة ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ إلى قوله: ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[العلق: ١ – ٥]، وآخر سورة العنكبوت.

٤. أول سورة نزلت بالمدينة البقرة وآخر سورة النصر.

ملحوظة:

١. يمكن استنباط آخر ما نزل مقيدا من الردود التي أوردت في آخر ما نزل من القرآن.

٢. ذكر الشيخ عندما تعرض للأقوال في آخر ما نزل من القرآن ما قاله البيهقي رحمه الله: "**يَجْمَعُ بَيْنَ هَذِهِ الاخْتِلَافَاتِ –إِنْ صَحَّتْ– بِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ أَجَابَ بِمَا عِنْدَهُ**"[1]، يقصد

[1] دلائل النبوة، للبيهقي رحمه الله (١٠٤/١).

من المجتهدين، ووضح ذلك القاضي الباقلاني فقال: "**هَذِهِ الْأَقْوَالُ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مَرْفُوعٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَكُلٌّ قَالَهُ بِضَرْبٍ مِنْ الِاجْتِهَادِ وَغَلَبَةِ الظَّنِّ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ كُلًّا مِنْهُمْ أَخْبَرَ عَنْ آخِرِ مَا سَمِعَهُ مِنَ النبي ﷺ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، أَوْ قَبْلَ مَرَضِهِ بِقَلِيلٍ، وَغَيْرُهُ سَمِعَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْهُ هُوَ**"[1].

[1] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي رحمه الله (١٠٤/١).

المبحث الرابع

أسباب النزول

ينقسم القرآن الكريم من حيث سبب النزول وعدمه إلى قسمين:

١. ما نزل ابتداء من غير سبق سبب نزول خاص، وهو كثير في القرآن الكريم، مثل: آيات الآداب والأحكام التي قصد بها ابتداء هداية الخلق، ومثل: أحوال الأمم السابقة، أو بعض الحوادث كحادثة الفيل.

٢. ما نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة، وهو ما نسميه بأسباب النزول.

وقد أَلَّف في أسباب النزول جماعة، منهم: الواحدي، وابن حجر، وعلي بن المديني، والسيوطي في كتاب حافل سماه (لباب النقول في أسباب النزول) وهو على هامش تفسير الجلالين.

ما هو سبب النزول؟

هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، بمعنى أنه لو أن حادثة وقعت أو سؤالا وُجِّه إلى النبي ﷺ؛ نزلت الآية بجواب هذا السؤال وبيان تلك الحادثة، وذلك مثل حادثة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، فنزلت بسببها آيات الظهار.

والمراد بأيام وقوعه (التي في التعريف): أن تنزل الآيات بعد (السؤال أو الحادثة) مباشرة، أو بعد ذلك بقليل، مثل: الآيات المتعلقة بقصة أهل الكهف، وذي القرنين، فقد نزلت بعد خمسة عشر يوما من سؤالهم للنبي ﷺ، وهذا القيد في التعريف (أيام وقوعه) يخرج الآيات التي تنزل ابتداء.

طريقة معرفة سبب النزول:

قال الواحدي رحمه الله: **"وَلَا يَحِلُّ الْقَوْلُ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ الْكِتَابِ، إِلَّا بِالرِّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ**

مِمَّنْ شاهدوا التنزيل، ووقفوا عَلَى الْأَسْبَابِ، وَبَحَثُوا عَنْ عِلْمِهَا"[1].

إذن فالمعول عليه هو الصحابة رضي الله عنهم ومن أخذ عنهم من التابعين، والصحابة رضي الله عنهم إما أن يجزموا بسبب النزول، وربما لم يجزموا، فيقول: "أحسب هذه الآية نزلت في كذا" كما قال الزبير رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [النساء: ٦٥].

حكم قول الصحابي في سبب النزول:

له حكم الرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه قول فيما لا مجال للرأي فيه، فهو محمول على السماع والمشاهدة.

حكم قول التابعي في سبب النزول:

له حكم الرفع، إلا أنه مرسل، فقد يُقبَل إذا صح السند إليه (التابعى) وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة مثل: (مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير)، أو اعتضد (قوّى) بمرسل آخر، وممن كان عالما بذلك من الصحابة عبد الله بن مسعود.

التثبت في القول في سبب النزول:

حتى لا يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم: **"وَمْن كَذَب علَيَّ متعمَّدًا فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَى الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"**[2].

قال محمد بن سيرين: **"سَأَلْتُ عُبَيْدَةَ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ، وَقُلْ سَدَادًا، ذَهَبَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ فِيمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ"**[3].

---

[1] أسباب النزول، للواحدي رحمه الله (٨/١).

[2] رواه الترمذي رحمه الله في سننه (٢٩٥١) بلفظ: "فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"، وقال: هذا حديث حسن.

[3] أسباب النزول، للواحدي رحمه الله (٩/١).

فوائد معرفة سبب النزول

الفائدة الأولى : الاستعانة على فهم الآية، وإزالة الإشكال عنها.

يقول ابن دقيق العيد: "**وَبَيَانُ سَبَبِ النُّزُولِ طَرِيقٌ قَوِيٌّ فِي فَهْمِ مَعَانِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ**"[1].

ويقول ابن تيمية: "**وَمَعْرِفَةُ سَبَبِ النُّزُولِ يُعِينُ عَلَى فَهْمِ الْآيَةِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ بِالسَّبَبِ يُورِثُ الْعِلْمَ بِالْمُسَبِّبِ**"[2]، والأمثلة على ذلك:

١. أنه أشكل على عروة بن الزبير رضي الله عنهما أن يفهم فرضية السعي بين الصفا والمروة من قوله تعالى ﴿ **۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا** ﴾ [البقرة: ١٥٨]؛ وذلك لأن الآية نفت الجناح، ونفي الجناح لا يدل على الفرضية، فسأل خالته السيدة عائشة رضي الله عنها[3]، فأفهمته أن نفي الجناح ليس نفيا للفرضية، إنما هو نفي لما وقر في أذهان المسلمين من التحرج من السعي؛ لأنه من عمل الجاهلية، وقد روي في سبب هذا التحرج أنه كان على الصفا صنم يقال له إساف، وعلى المروة صنم يقال له نائلة، وكان المشركون إذا سعوا تمسحوا بهما، ولذلك تحرج المسلمون أن يطوفوا، فنزلت الآية لنفي هذا الحرج؛ ولهذا قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : "لو أراد الله نفي الفرضية لقال: لا جناح عليه ألا يتطوف بهما".

٢. ومن ذلك قوله تعالى﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ** ﴾ [الطلاق: ٤]، فقد أشكل على بعض الأئمة ذلك في قوله تعالى ﴿ **إِنِ ٱرْتَبْتُمْ** ﴾، حتى قال الظاهرية: "بأن الآيسة لا عدة عليها إذا لم ترْتب"، وقد أزال هذا الإشكال سبب النزول؛ لأنه لما نزلت الآية في سورة البقرة في عِدَدِ النساء، فقيل: بقي

---

[1] إحكام الأحكام (٢/٢٥٩)، لابن دقيق العيد رحمه الله.

[2] مجموع الفتاوى (١٣/٣٣٩)، لابن تيمية رحمه الله.

[3] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٦٤٣)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٢٧٧).

عَدَد من عِدَدِ الصغار والكبار، فنزلت الآية[1]، وهي خطاب لمن لم يعلم وارتاب، أعليهن عدة أم لا؟ فعلمنا أن معنى ﴿ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ ﴾: أي لو أشكل عليكم حُكمُهن، وليس المعنى إن شكّت وارتابت الآيسة.

٣. ومن هذا قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ﴾ [البقرة: ١١٥]، فلو تركت الآية على ظاهرها لاقتضت أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة في السفر والحضر، وهذا خلاف الإجماع، ولكن سبب النزول حل هذا الإشكال؛ فقد نزلت في نافلة السفر[2]، أو ردًا على اليهود الذين يسفهون على النبي ﷺ والمسلمين بسبب تحويل القبلة[3]، على اختلاف الروايات.

٤. وكذلك ظن قدامة بن مظعون رضي الله عنه أن قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣ ﴾ [المائدة: ٩٣] فيه إباحة للخمر، وهذا الرأي شاذ، وسبب النزول حل هذا الإشكال؛ لأنه روي أن أناسا قالوا لما حرمت الخمر: "كيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس"، فنزلت الآية[4].

الفائدة الثانية : يعين على فهم الحكمة التي يشتمل عليها التشريع، وذلك مثل ما إذا عرفنا سبب تحريم الخمر عرفنا الحكمة في التحريم؛ إذ أنها توقع العداوة بين الناس وتذهب العقل والوقار.

الفائدة الثالثة: رفع الحصر، يقول الشافعي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ

---

[1] رواه الحاكم في المستدرك (٣٨٢١)، وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وقال السيوطي رحمه الله في لباب النقول (٣٠٨)، صحيح الإسناد.

[2] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٧٠٠).

[3] أخرجه البيهقي رحمه الله في السنن الكبرى (٢٢٤٦)، وأشار العلامة أحمد شاكر رحمه الله في مقدمة التفسير إلى صحته (١/١٩٤).

[4] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٦٢٠)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٩٨٠).

﴿ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾[الأنعام: ١٤٥] ما معناه: **"أن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله وكانوا على المحاداة، فجاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه ولاحرام إلا ما أحللتموه، نازلاً منزلة من يقول: لا تأكلْ اليوم الحلوى، فتقول له: لا آكل إلا الحلوى، والغرض المضاداة، لا النفي والإثبات على الحقيقة"**[1].

الفائدة الرابعة: معرفة اسم من نزلت فيه الآية، وفي ذلك نفي التهم عن البريء، وإسناد الفضل لأهله، ففي نفي التهمة: لما ردت السيدة عائشة رضي الله عنها على مروان بن الحكم حينما اتهم أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر بأنه الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾[الأحقاف: ١٧]، وقالت: **"والله ما هو به، ولو شئت أن أسميه لسميته"**[2].

أما إسناد الفضل لأهله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[البقرة: ٢٠٧]، فصاحب الفضل هو سيدنا صهيب الرومي رضي الله عنه.

الفائدة الخامسة: معرفة أن سبب النزول غير خارج من حكم الآية، وهذا إذا كان لفظ الآية عاما وورد مخصص لها، فبمعرفة السبب يكون التخصيص قاصرا على ما عداه (ما عدا سبب النزول)، فقيام الإجماع على دخول صورة السبب (سبب النزول)، ولو لم تعلم السبب لجاز أن يخرج هذا السبب عن حكم الآية.

---

[1] الإتقان في علوم القرآن (١٦٦/٣)، للسيوطي رحمه الله.

[2] قال الحافظ رحمه الله في الكافي الشاف (٢٥٥): أصله في البخاري دون ما في آخره، ورواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٨٢٧).

الفائدة السادسة: لمن يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، فلا بد أن يعلموا سبب النزول؛ لأن حكم الآية سيكون خاصا بسبب النزول فقط.
الفائدة السابعة: تثبيت الوحي وتأكيد الحكم في الذهن؛ لأن ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث يعين على ذلك.

التعبير عن سبب النزول:

للعلماء في ذلك طريقتان:

١. قولهم سبب نزول هذه الآية كذا وهذه العبارة نص في بيان السبب.

٢. قولهم نزلت هذه الآية في كذا، وهذه العبارة ليست نصا في السببية بل تحتمل السببية وتحتمل بيان المعنى وما تضمنته الآية من أحكام.

- وعلى هذا إذا وردت روايتان أو أكثر، وكانت إحداهما نصا في بيان سبب النزول والثانية ليست نصا فيه، أخذنا في السببية بما هو نص، وحملنا الأخرى على بيان المعنى، وذلك مثل: روايتي مسلم والبخارى رحمهما الله، فرواية مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: "**كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ: إِذَا أَتَى الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا، كَانَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ:** ﴿**نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ**﴾ [البقرة: ٢٢٣]"[١]، ورواية البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ﴿**نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ**﴾ "**قَالَ: يَأْتِيهَا فِي**"[٢]، يعني تحريم الإتيان في الدبر.
فالمعتمد عليه في بيان سبب النزول رواية جابر رضي الله عنه؛ لكونها نصا في ذلك، أما رواية ابن عمر رضي الله عنهما فتحمل على بيان المعنى.

---

[١] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٤٣٥).

[٢] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٥٢٧).

تعدد الأسباب والمُنْزَل واحد

إذا ذكر كل من الراويين أو الرواة عبارة هي نص في السببية، فلذلك أحوال أربعة:

الحالة الأولى: أن تكون إحدى الروايتين صحيحة، والأخرى غير صحيحة، فالمعتمد الصحيحة، مثال ذلك:

ما أخرجه الشيخان وغيرهما، عن جندب رضي الله عنه قال: "**اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾** [الضحى: ١ – ٣]"[1].

والرواية الثانية أخرجها الطبراني وغيره بسند فيه من لا يعرف، "**أَنَّ جَرْوًا**[2] **دَخَلَ بَيْتَ النَّبِيِّ ﷺ، فَدَخَلَ تَحْتَ السَّرِيرِ فَمَاتَ، فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ لَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَقَالَ: يَا خَوْلَةُ مَا حَدَثَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ؟ جِبْرِيلُ لَا يَأْتِينِي، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ هَيَّأْتُ الْبَيْتَ وَكَنَسْتُهُ! فَأَهْوَيْتُ بِالْمِكْنَسَةِ تَحْتَ السَّرِيرِ فَأَخْرَجْتُ الْجَرْوَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ تَرْعَدُ لِحْيَتُهُ، وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ أَخَذَتْهُ الرِّعْدَةُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾**"[3].

فالمعتمد الرواية الأولى؛ لأنها صحيحة.

الحالة الثانية: أن تكون الروايتان صحيحتين، ولإحداهما مرجح؛ لكون إحدى الروايتين أصح من الأخرى، أو لكون الراوي حاضر القصة، أو نحو ذلك، فالحكم: نأخذ الرواية الراجحة دون المرجوحة.

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٥٠)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٧٩٧).

[2] ولد الكلب.

[3] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (٦٣٦)، وقال السيوطي رحمه الله في لباب النقول (٣٣٢): إسناده فيه من لا يعرف.

ومثال ذلك: رواية البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "**كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ**[1]**، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنْ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ لَا يُسْمِعُكُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنِ الرُّوحِ، فَقَامَ سَاعَةً يَنْظُرُ، فَعَرَفْت أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ حَتَّى صَعِدَ الْوَحْيُ، ثُمَّ قَالَ:** ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾** ﴾ [الإسراء: ٨٥]"[2].

والروايات الأخرى رواها الترمذي وصححها عن ابن عباس رضي الله عنهما: **قَالَتْ قُرَيْشٌ لِيَهُودَ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ هَذَا الرَّجُلَ** –يريدون النبي ﷺ–، **فَقَالَ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، قَالَ: فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:** ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾** ﴾"[3].

فالرواية الأولى تدل على أن السائل اليهود، وأن نزولها بالمدينة، والثانية تدل على أن السائل كفار، وأنها بمكة، والأولى أرجح؛ لأمرين:

١. أنها من رواية البخاري رحمه الله، وهي أصح من رواية الترمذي رحمه الله.

٢. أن الراوى الأول (وهو ابن مسعود رضي الله عنه) كان حاضرا القصة، والثانية ليس فيها أن ابن عباس رضي الله عنهما كان حاضرا.

الحالة الثالثة: أن تكون الروايتان صحيحتين، ولم يمكن الترجيح، ولكن يمكن نزول الآية أو الآيات عقب السببين أو الأسباب؛ لعدم العلم بالتباعد، فيحمل ذلك على تعدد الأسباب والْمُنزَل واحد.

---

[1] جريد النخل إذا نزع منه الخوص.

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٧٢٩٧)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٧٩٤).

[3] قال الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي رحمه الله (٣١٤٠): إسناده صحيح.

مثال ذلك: ما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: "**أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: الْبَيِّنَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ، فَقَالَ هِلَالٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾** [النور: ٦-٩]"[١].

ورواية الشيخين عن سهل بن سعد، قال: "**أَنَّ عُوَيْمِرًا الْعَجْلَانِيَّ جَاءَ إِلَى عَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ، فَقَالَ لَهُ: أَرَأَيْتَ يَا عَاصِمُ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيَقْتُلُهُ، فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَفْعَلُ؟ فَسَلْ لِي عَنْ ذَلِكَ يَا عَاصِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَاصِمٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا، حَتَّى كَبُرَ عَلَى عَاصِمٍ، وَمَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَجَعَ عَاصِمٌ إِلَى أَهْلِهِ جَاءَهُ عُوَيْمِرٌ، فَقَالَ: يَا عَاصِمُ، مَاذَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ عَاصِمٌ لِعُوَيْمِرٍ: لَمْ تَأْتِنِي بِخَيْرٍ، قَدْ كَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي سَأَلْتُهُ عَنْهَا، قَالَ عُوَيْمِرٌ: وَاللَّهِ لَا أَنْتَهِي حَتَّى أَسْأَلَهُ عَنْهَا، فَأَقْبَلَ عُوَيْمِرٌ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَطَ النَّاسِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيَقْتُلُهُ، فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَفْعَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ نَزَلَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ**"[٢] الحديث.

---

[١] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٧٤٧).

[٢] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٣٠٨)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٤٩٢).

فالروايتان صحيحتان، ولا مرجح لأحدهما، ويمكن الجمع بينهما؛ بأن أول من سأل هلال رضي الله عنه، ثم سأل عويمر رضي الله عنه أيضا قبل الإجابة، فأنزل الله آيات اللعان.

الحالة الرابعة: استواء الروايتين أو الروايات الصحيحة، ولا مرجح لأحدهما، ومع عدم إمكان نزول الآية عقبهما لتباعد الزمان، فالحكم: أن يحمل الأمر على تكرار النزول، ولا مانع من ذلك بل له حِكَمٌ (للتذكير وللعظة ولعظم الأمر)، مثال ذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ وقف على حمزة حين استشهد وقد مثلوا به، فقال: **"لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ كَمُثْلَتِكَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِهَذِهِ السُّورَةِ، وَقَرَأَ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾**[النحل: ١٢٦] **إِلَى آخِرِ الآيَةِ"**[١].

ورواية الترمذي والحاكم عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: **"لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ فِيهِمْ حَمْزَةُ فَمَثَّلُوا بِهِمْ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِثْلَ هَذَا لَنُرْبِيَنَّ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾"**[٢].

والملاحظ أن بين أُحُدٍ والفتح خمس سنين، فقد تباعد الزمن، وإذًا فلا مناص من القول بتعدد النزول مرة يوم أحد ومرة يوم الفتح.

ومما ذكر من هذا القبيل سورة الإخلاص، فقد روي أنها نزلت جوابا للمشركين، وروى أنها نزلت جوابا لأهل الكتاب بالمدينة فحمل على تكرار النزول.

تنبيه هام

قد تكون في القصة "فتلا رسول الله ﷺ كذا"، فيغلط الراوى فيقول: "فنزل كذا" فيُظَنُّ أن ذلك سبب نزول، وليس كذلك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **"مَرَّ يَهُودِيٌّ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ**

[١] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (٢٩٣٧)، وضعفه الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٥٥٠).

[٢] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٣١٢٩)، قال الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٣١٢٩): حسن صحيح الإسناد.

النَّبِيُّ ﷺ: يَا يَهُودِيُّ، حَدِّثْنَا، فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ عَلَى ذِهْ، وَالْأَرْضَ عَلَى ذِهْ، وَالْمَاءَ عَلَى ذِهْ، وَالْجِبَالَ عَلَى ذِهْ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى ذِهْ، وَأَشَارَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّلْتِ بِخِنْصَرِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ تَابَعَ حَتَّى بَلَغَ الْإِبْهَامَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧]"[١]، وقد وهم الراوي في قول: " **فَأَنْزَلَ**"، وقد ورد الحديث في الصحيح بلفظ: " **ثُمَّ قَرَأَ**"[٢] وهو الصواب، ومما يؤيد هذا أن الآية مكية لا مدنية، والحادثة حدثت في المدينة.

تعدد المُنْزَل والسبب واحد:

قد يكون الأمر الواحد سببا لنزول آيتين أو آيات متعددة؛ تبيانا وإرشادا للخلق، وإقناعا للسائل، ومن أمثلة ذلك: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: "**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ: (لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)(وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، قَالَ: فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ ﴾** [النساء: ٩٥]"[٣].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه: "**إِذْ جَاءَ أَعْمَى، فَقَالَ: كَيْفَ بِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا أَعْمَى؟ فَنَزَلَتْ: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۝٩١ ﴾** [التوبة: ٩١]"[٤].

---

[١] قال الترمذي رحمه الله في سننه (٣٢٤٠): حسن غريب صحيح، وضعفه الألباني رحمه الله في ضعيف الترمذي (٣٢٤٠).

[٢] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٨١١)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٧٨٦).

[٣] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٨٣٢).

[٤] ورد في تفسير ابن أبي حاتم رحمه الله، تخريج جوامع الكلم: إسناد ضعيف فيه محمد بن جابر السحيمي وهو ضعيف الحديث.

عموم اللفظ وخصوص السبب

أحوال كل من السبب واللفظ النازل عليه من عموم وخصوص، فالقسمة العقلية تقتضي أربع صور، وهي:

١. **أن يكون كل من السبب واللفظ النازل عليه خاصا:** مثال ذلك: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾[الليل: ١٧]، والتمثيل لا يستقيم إلا إذا جعل (أل) هنا للعهد وهو أبو بكر رضي الله عنه.

٢. **أن يكون كل من السبب واللفظ النازل عليه عاما:** مثال ذلك الآيات التي نزلت في غزوة بدر وأحد.

وهذان القسمان لا خلاف فيهما

٣. **أن يكون السبب عاما واللفظ النازل عليه خاصا:** وهذا القسم إن صح عقلا ولكنه لا يليق بالقرآن، ومن ثَمَّ لم يقع هذا في الكلام البليغ كالقرآن والسنة.

٤. **أن يكون السبب خاصا واللفظ النازل عليه عاما:** وهذا القسم هو محط اختلاف العلماء، فذهب جمهور العلماء إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وذهب غير الجمهور إلى أن العبرة بخصوص السبب، بمعنى أن لفظ الآية يكون قاصرا على من نزلت بسببه الآية، وحكم غيرها مما يشبهها لا يكون مستفادا من لفظ الآية، إنما يستفاد بطريق القياس أو بالاجتهاد.

تنبيهات

١. الكل -سواءٌ الجمهور أو غيرهم- متفقون على عموم أحكام هذه الآيات، غير أن الجمهور يقولون: "إن العموم مستفاد من اللفظ"، أما غير الجمهور فيقولون: "إن صورة السبب معلومة من اللفظ، وغير صورة السبب فيستفاد حكمها من القياس".

٢. هذا الخلاف بين الجمهور وغيرهم محله إذا لم تقم قرينة على تخصيص لفظ الآية العام بسبب نزوله، أما إن وجدت قرينة فإن الحكم يكون مقصورا على سببه إجماعا.

ثمرة الخلاف

١. فالحكم عند الجمهور على أفراد غير السبب مدلول عليه بالنص، فيكون قطعي الثبوت، وقد يكون أيضا قطعي الدلالة.

٢. أن أفراد غير السبب عند الجمهور يتناولها الحكم ما دام اللفظ قد تناولها، أما غير الجمهور فلا يسحبون الحكم إلا على ما استوفى شروط القياس دون سواه.

أدلة الجمهور

الدليل الأول: احتجاج الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم من الأئمة المجتهدين في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة، ومن ذلك احتجاجهم بآية السرقة في قطع يد كل سارق مع نزولها في حادثة خاصة، وكذلك احتجاجهم بآيات حد القذف على حد كل قاذف مع أنها نزلت بسبب الذين رموا السيدة عائشة رضي الله عنها، وكذلك آيات اللعان التي نزلت في حادثة هلال بن أمية رضي الله عنه، وآيات الظهار التي نزلت في حادثة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها، ومما يدل على اعتبار الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم بالعموم: ما روي عَنْ نَجْدَةَ الْحَنَفِيِّ، **قَالَ: "سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ:** ﴿**وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ**﴾ [المائدة: ٣٨] **أَخَاصٌّ أَمْ عَامٌّ؟ فَقَالَ: بَلْ عَامٌّ"**[١]، ولما سُئِل كعب بن عجرة رضي الله عنه عن الفدية في قوله تعالى ﴿**فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ**﴾ [البقرة: ١٩٦]، فقال: **"فَنَزَلَتْ فِيَّ خَاصَّةً وَهْيَ لَكُمْ عَامَّةً"**[٢].

الدليل الثاني: لو لم تكن العبرة بعموم اللفظ للزم استعمال العام في الخاص، وفي هذا صرفٌ له عما وضع له بغير قرينة مانعة من العموم، واللازم باطل، فبطل ما أدى إليه، وخصوص السبب لا يصلح أن يكون قرينة مانعة؛ لأنه لا يستلزم خروج السبب من متناول

---

[١] تفسير الطبري رحمه الله (٤٠٩/٨).

[٢] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٥١٧)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٢٠١).

اللفظ.

أدلة غير الجمهور

الدليل الأول: قالوا لو كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لجاز إخراج صورة السبب بالتخصيص؛ لأن أي لفظ عام يجوز إخراج أي صورة منه بالتخصيص، ولكن الإجماع منعقد على عدم جواز إخراج صورة السبب من اللفظ العام.

وأجيب: بأن عدم إخراج صورة السبب إنما جاء من دليل آخر وهو الإجماع، لا من جهة كونه غير عام.

الدليل الثاني: لو كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لما كان لذكر السبب فائدة، ولكن لذكره فائدة وهو تخصيص الحكم بالسبب.

وأجيب: لا نسلم لكم انتفاء الفائدة مطلقا، بل هناك فوائد كثيرة (فوائد أسباب النزول).

الدليل الثالث: لو كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لكان اللفظ الذي هو بمنزلة الجواب غير مطابق للسبب.

وأجيب: بل مطابق، وزيادة الجواب على السؤال لا تخرجه عن المطابقة؛ لأنه اشتمل على المقصود وزاد عليه.

شبيه بالسبب الخاص مع اللفظ العام

قد تنزل بعض الآيات على الأسباب الخاصة، وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامة رعاية لنظم القرآن، فيكون ذلك الخاص قريبا من صورة السبب في كونه قطعي الدخول في العام، ومثال ذلك:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: **"لَمَّا قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ أَتَوْهُ، فَقَالُوا: نَحْنُ أَهْلُ السِّقَايَةِ وَالسِّدَانَةِ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ يَثْرِبَ، فَنَحْنُ خَيْرٌ أَمْ هَذَا الصُّنَيْبِيرُ[1] الْمُنْبَتِرُ مِنْ**

---

[1] الفائق في غريب الحديث والأثر: "الصنبور : الأبتر الذي لا عقب له".

قَوْمِهِ يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا؟ فَقَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ (وكان كعب بن الأشرف عالما بصفة النبي ﷺ التي في التوراة)، فَنَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣]، وَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١]"[1]، ثم جاء بعد هذه الآيات الأمر بأداء الأمانة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، فآية الأمانة عامة في كل أمانة، وما تقدم من فعل كعب أمانة خاصة، والعام تالٍ للخاص ومتراخٍ في النزول، وهذه المناسبة تقتضي دخول ما دل عليه الخاص في العام.

---

[1] أخرجه ابن حبان رحمه الله في صحيحه (٦٥٧٢)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الموارد (١٤٤٨).

المبحث الخامس

نزول القرآن على سبعة أحرف[1]

اختلف العلماء في هذا المبحث اختلافا كبيرا، فنرى لزاما علينا ذكر الروايات الثابتة في هذا المعنى:

حديث إنزال القرآن على سبعة أحرف متواتر، ونقله صحابة كثيرون.

١. عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **"أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ، وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إلى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: بَلَغَنِي أَنَّ تِلْكَ السَّبْعَةَ الأَحْرُفَ إِنَّمَا هِيَ فِي الأَمْرِ الَّذِي يَكُونُ وَاحِدًا لَا يَخْتَلِفُ فِي حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ"**[2]، يريد أن المعنى واحد وإن اختلفت الألفاظ.

٢. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: **"سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِه، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرْتُ، حَتَّى سَلَّمَ فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ يَا عُمَرُ، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى**

---

[1] هذا الباب يبين بجلاء قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٩١)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٨١٩).

سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ"[1].

٣. وفي رواية أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: "**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ، مُعَافَاتَهُ، وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ، أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ، مُعَافَاتَهُ، وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ، أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ، مُعَافَاتَهُ، وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ، أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ، فَقَدْ أَصَابُوا"**[2].

وروايات أخرى قريبة من هذه المعاني

ما يستخلص من الروايات:

لو نزل القرآن على حرف واحد لَشَقَّ ذلك على الأمة العربية، فقد كانت متعددة اللغات واللهجات، فكان من رحمة الله بهذه الأمة أن أنزل القرآن على سبعة أحرف رفعًا للحرج.

١. أن هذه التوسعة إنما كانت في الألفاظ ولم تكن في المعاني.

٢. هذه التوسعة والإباحة في القراءة بأي حرف من الحروف السبعة إنما كانت في حدود ما نزل به جبريل ﷺ.

٣. أن الأمة كانت مخيرة في القراءة بأي حرف منها من غير إلزام بواحد منها.

٤. أن التوسعة على الأمة لم تكن في مبدأ الدعوة، بل كانت بعد الهجرة، وبعد أن دخل في الإسلام كثير من القبائل غير قريش.

٥. هذه التوسعة مصدر رحمة، فلا ينبغي أن تكون مصدر اختلاف ونقمة.

٦. حِرْصُ الصحابة رضي الله عنهم البالغ على القرآن الكريم.

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٩٢)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٨١٨).

[2] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٨١٩).

الأقوال في المراد من الأحرف

القول الأول:

أن الحديث من المشكل الذي لا يُدرى معناه؛ لأن الحرف يصدق في اللغة على حرف الهجاء، وعلى الكلمة، وعلى المعنى، وعلى الجهة، فهو مشترك لفظي.

الرد: وهذا الرأي بمعزل عن التحقيق، فإن مجرد كون اللفظ مشتركا لفظيا لا يلزم منه الإشكال، ولا التوقف، وإنما يكون ذلك لو لم تقم قرينة تعين بعض المعاني، وهنا قامت القرينة التي تعين المراد، إذ لا يصح إرادة حرف الهجاء؛ لأن القرآن مركب من جميع الحروف، وليس من سبعة أحرف، ولا يصح إرادة الكلمات؛ لأن كلمات القرآن تعد بالألوف، لا بالسبع، ولا يصح إرادة المعنى؛ لأن معانيه تزيد عن سبعة، فتعين أن يكون المراد الجهة، والجهة تأتى بمعنى الوجه، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾[الحج: ١١]، فُسِّر بأنه على وجه وهو السراء دون الضراء.

القول الثاني، وغيره من الأقوال:

وهي أقوال تتفق في معنى واحد، وهي التتبع والاستقراء، فيرجعون الأوجه السبعة كما قال ابن الجزري إلى:

١. إما باختلاف في الحركات، بلا تغير في المعنى والصورة، مثل فتح القاف وضمها في كلمة "**قَرح**"، "**قُرح**".

٢. أو في الحركات بتغير في المعنى مثل ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ ﴾ [البقرة: ٣٧] بالرفع والنصب في "**كلماتٌ**"، "**كلماتٍ**".

٣. أو في الحروف، بتغير في المعنى لا الصورة، مثل: ﴿ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ ﴾[يونس: ٣٠] قرئ "**تتلوا**".

٤. أو عكس ذلك بتغير في الصورة لا المعنى "**الصراط**" و"**السراط**".

٥. أو بتغيرهما، مثل: ﴿ **فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾[الجمعة: ٩] قرئ "**فامضوا**".

٦. وإما بالتقديم والتأخير، مثل: ﴿ **فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ** ﴾[التوبة: ١١١].

٧. وإما بالزيادة والنقصان ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ** ﴾[البقرة: ١٣٢]، قرئ و"أوصى".

نقد هذه الآراء فيما يلي:

١. لم يذكروا دليلا على قولهم إلا التتبع، والتتبع فقط لا يكفي؛ لأنه قد يكون الاستقراء والتتبع ناقصين، ولهذا فقد اختلفوا وتداخلت الأوجه في بعضها.

٢. إن الغرض من الأوجه السبعة رفع المشقة، والمشقة غير موجودة في إبدال الفعل المبني للمعلوم بالفعل المبنى للمجهول أو العكس، فليست هذه بالمشقة التي يسأل النبيﷺ ربه التخفيف من أجلها.

٣. إن أصحاب هذه الأقوال اشتبه عليهم القراءات بالأحرف، فالقراءات غير الأحرف، وإن كانت مندرجة تحتها وراجعة إليها.

القول الثالث:

المراد بالأحرف السبعة: السبع قراءات.

ويُرَد عليهم: إن أردتم أن كل كلمة تقرأ بقراءات سبع، قلنا لكم إن ذلك نادر وقليل جدا، وإن أردتم أن بعض الكلمات تقرأ بوجه، وبعضها بوجهين، وهكذا إلى سبع، فذلك مردود؛ لأن بعض الكلمات تقرأ على أكثر من سبعة أوجه، كما جاء في (البحر) أن في قوله ﴿ **وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ** ﴾[المائدة: ٦٠] اثنين وعشرين قراءة، وكلمة "أف" أوصلها الرماني إلى سبع وثلاثين لغة.

القول الرابع:

المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة، وإن شئت فقل: سبع لغات من لغات العرب المشهورة في كلمة واحدة تختلف فيها الألفاظ والمباني مع اتفاق المعاني أو تقاربها، وذلك مثل: هَلُمّ، وأقبل، وتعال، وإليّ، ونحوي وقصدي وقربي، فإن هذه ألفاظ مختلفة يعبر بها عن معنى واحد، وهو طلب الإقبال، وليس معنى هذا أن كل كلمة كانت تقرأ بسبعة ألفاظ من سبع لغات، بل المراد أن غاية ما ينتهي إليه الاختلاف في تأدية المعنى هو سبع، فالمعنى الذي تتفق فيه اللغات في التعبير عنه بلفظ واحد يعبر عنه بهذا اللفظ فحسب، والذى يختلف التعبير عنه بلفظين وتدعو الضرورة إلى التوسعة يعبر عنه بلفظين، وهكذا إلى سبع.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً** ﴾[يس: ٢٩]، قرأ ابن مسعود رضي الله عنه: "**إِنْ كَانَتْ إِلا زَقْيَةً وَاحِدَةً**"[1]، وقوله تعالى: ﴿ **فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾[الجمعة: ٩]، قرأ عمر رضي الله عنه: "**فَامْضُوا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ**"[2]، وقوله تعالى: ﴿ **لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا** ﴾[الحديد: ١٣]، قرأها أُبي: "**لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْهِلُونَا، لِلَّذِينَ آمَنُوا أخرونا، لِلَّذِينَ آمَنُوا ارْقُبُونَا**"[3].

ولا يقال: إن بعض هذه الحروف لا يقرأ بها اليوم؛ لأننا نقول: إن هذا هو معنى الأحرف السبعة، ونحن لا ندعي بقاءها كلها إلى اليوم، فالقرآن نزل على سبعة أحرف (لغات) من لغات العرب المشهورة، وليست في البحث عنها كبير عناء ما دام أنها اندرست.

وقد استمر الأمر على هذا حتى كثر فيهم من يقرأ ويكتب، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ﷺ، فلما أصبح التوسع في القراءة مثار اختلاف وتنازع، وعَلِمَ عثمان رضي الله عنه ذلك،

---

[1] أخرجه البيهقي رحمه الله في السنن الكبرى (٣٩٩٢)، وصححه ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره (٢٩/١).

[2] أخرجه الشافعي رحمه الله في مسنده (٣٩٨)، وصححه ابن الأثير رحمه الله في شرح مسند الشافعي رحمه الله (١٨٣/٢).

[3] راجع التمهيد (٢٩١/٨)، لابن عبد البر رحمه الله.

فقال: "**أَنْتُمْ عِنْدِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَتَلْحَنُونَ، فَمَنْ نَأَى عَنِّي مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَشَدُّ فِيهِ اخْتِلَافًا، وَأَشَدُّ لَحْنًا**"[1]، فرأى الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه -ونِعْمَ ما رأى على ملأ من الصحابة ومشورة من أهل الرأي منهم- أن يجمع الناس على حرف واحد، وهو حرف قريش، ونسخ منه نُسَخًا أرسل بها إلى الأمصار، وحرق ما عدا هذا، فالتزمت الأمة بحرف قريش، وتركت القراءة بالأحرف الستة الباقية حتى درست، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها لدثورها، وتتابعت الأمة على رفض القراءة بها من غير جحود منهم لصحتها.

وإلى هذا الرأي ذهب جماهير من سلف الأمة وخلفها، مثل: سفيان بن عيينة والطبري والطحاوي والقرطبي، ونسبه إلى ابن عبد البر وهو اختيار المصنف، رحمهم الله جميعا.

– للهجة قريش منزلة عالية بين لغات العرب، يقول ابن فارس في فقه اللغة عن إسماعيل بن عبيد الله: "أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح الألسنة، وأصفاهم لغة".

وأُثيرت بعض الشبهات على هذا الرأي

الشبهة الأولى:

في أي موضوع من القرآن نجد حرفًا واحدًا مقروءا بسبع لغات مختلفة الألفاظ متفقات المعاني؟

الجواب:

أننا لم نَدّعِ وجود ذلك اليوم، وإنما قلنا هذا هو معنى الحديث، وكما سبق وُجِدت ظروف وضرورات اضطرت الأمة بسببها أن تقتصر على حرف واحد منها، وهو حرف قريش.

[1] تفسير الطبري رحمه الله (٥٧/١).

الشبهة الثانية:

أين ذهبت الأحرف الستة الباقية مع أن رسول الله ﷺ قرأ بها؟

الجواب: الأحرف الستة الباقية لم تنسخ، ولم ترفع ولم تضيعها الأمة، وإنما الأمة أُمِرت بحفظ القرآن، وخُيِّرَت في حفظه وقراءته بأي تلك الأحرف شاءت، فرأت لعلة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد، وترْك ما عداه، وهذه العلة هي أن هذه الأحرف السبعة جُعِلت للتيسير، ورفع الحرج، فأضحت سببا للنزاع والاختلاف.

الشبهة الثالثة:

كيف يلتئم هذا الرأي مع قول عثمان رضي الله عنه: "**إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ**"[1]؟

الجواب: قول عثمان رضي الله عنه محمول على ابتداء نزوله، وهو الحرف الأول الذي نزل به جبريل عليه السلام.

الشبهة الرابعة:

لو كانت هذه الأحرف السبعة لغات سبع من لغات العرب المشهورة، فكيف اختلفت قراءة عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم رضي الله عنهما وهما قُرَشيان؟

الجواب: العبرة في القراءة بالحروف هو السماع من النبي ﷺ، لا أن يقرأ كل واحد بهواه، وإنكار بعضهم على بعض لم يكن لأن المنكر سمع ما ليس من لغته فأنكر، وإنما كان لأنه سمع خلاف ما أقرأه النبي ﷺ.

وجائز جدا أن يكون أحدهما سمع من النبي ﷺ حروفا بغير لغة قريش فحفظها، وسمع الآخر حروفا بلغة قريش فحفظها.

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٠٦).

الشبهة الخامسة:

كيف تقولون: إن الحرف الذي استقر عليه الأمر أخيرا هو حرف قريش، مع أنه في القرآن كثيرا من الكلمات بغير لغة قريش، مثل: ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾، فقد قيل: "إنها بلغة اليمن"، ومثل: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الرعد: ٣١] أي "أفلم يعلموا" بلغة هوزان، و﴿مُرَٰغَمًا﴾ أي متفسحًا بلغة هذيل؟

الجواب: ما ورد في هذه الألفاظ وإن كانت في الأصل من غير لغة قريش لكن قريشا أخذتها واستعملتها حتى صارت قرشية، مثل الكلمات التي في القرآن التي قيل إنها غير عربية في الأصل (كالمشكاة والقسطاس وإستبرق) ونحوها، فإنها إما صارت عربية بالاستعمال أو توافقت فيها لغة العرب وغيرهم.

الشبهة السادسة:

ذكروا روايات عن ابن مسعود وأنس وغيرهم أنهم توسعوا في الأحرف بحيث جوّزوا حرفًا مكان حرف بغير سماعهم من رسول الله ﷺ، كما حدث لابن مسعود رضي الله عنه عندما عَلَّم رجلا أعجميا قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٤]، **فَيَقُولُ الأَعْجَمِيُّ: "طَعَامُ الْيَتِيمِ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ: طَعَامُ الْفَاجِرِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاقْرَأْ كَذَلِكَ"**[1].

الجواب: مثل هذه الروايات وما شابهها مصروفة عن ظاهرها لا محالة؛ لوجود الأدلة القطعية من القرآن والسنة الصحيحة على عدم جواز تبديل كلمة بأخرى في معناها من غير توقيف وسماع.

وتُحْمَل هذه الروايات، إما أن تقول: إن هذه كانت أحرف يُقرأ بها، وكانت منزلة من عند

[1] رواه الحاكم رحمه الله عن أبي الدرداء رضي الله عنه في المستدرك (٣٦٨٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

الله، واندثرت مع الأحرف الستة، أو تقول إن ما جاءت به الروايات تفسير وتوضيح للفظ القرآن، وليس من لفظ القرآن نفسه.

هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف؟

كون المصاحف مشتملة على الأحرف السبعة أو بعضها متوقفة على معرفة المراد بالأحرف السبعة، وعلى رأي الجمهور (الرأي الراجح) أن المراد بالأحرف السبعة هي السبع لغات التي تختلف فيها الألفاظ مع اتفاق المعاني، قالوا: إن ما بقي في المصاحف منها هو حرف قريش، وهذا هو الراجح، ويوضح ذلك ما أخرجه ابن أبي داود في المصاحف عن أبي الطاهر ابن أبي السرح قال: "**سَأَلت بن عُيَيْنَةَ عَنِ اخْتِلَافِ قِرَاءَةِ الْمَدَنِيِّينَ وَالْعِرَاقِيِّينَ: هَلْ هِيَ الْأَحْرُفُ السَّبْعَةُ؟ قَالَ: لَا، وَإِنَّمَا الْأَحْرُفُ السَّبْعَةُ مِثْلُ: هَلُمَّ، وَتَعَالَ، وَأَقْبِلْ، أَيَّ ذَلِكَ، قلت: أجزأك**"[1].

ملحوظة

المصحف العثماني مشتمل على القراءات المتواترة التي تواترت عن النبيﷺ وقرأ بها، حيث إنه يوجد عشر قراءات متواترة، وتوجد قراءات شاذة انقطع سندها.

مثال لاحتواء القرآن على القراءات المتواترة:

١. في سورة الفاتحة ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] فكلمة "مَلِكِ" قراءة، وكلمة "مالك" قراءة، ولكن في القرآن تحتمل قراءة "ملك" تحقيقا، وقراءة "مالك" تقديرا؛ لأن العرب ما كانوا يكتبون المد، مثل: "الله" ما يكتبون مد الألف، ومثل: الرحمن.

٢. فى آخر الحزب الأول، في كلمة "تعملون"، قرأت "يعملون"؛ ولأن الرسم العثماني ما كان فيه النقط فاحتمل القراءتين.

٣. كلمة "اليُسْرى"، "العُسْرى " قُرِأت "اليُسُرى"،"العُسُرى" بضم السين؛ ولأن الرسم

[1] فتح الباري، لابن حجر رحمه الله (٣٠/٩).

العثماني ماكان فيه تشكيل فاحتمل قراءتين، وهكذا.

ولهذا بَيَّنَ الشاطبي رحمه الله أن الرسم العثماني ليس فيه نقط ولا تشكيل حتى لا يكون حجرا على قراءة واحدة دون غيرها.

المبحث السادس

المكي والمدني

فوائد العلم بالمكي والمدني:

١. يعرف به الناسخ والمنسوخ فيما لو وردت آيتان متعارضتان.

٢. يعين على معرفة تاريخ التشريع والوقوف على سنة الله الحكمية في تشريعه (كما سبق في حِكَم نزول القرآن مفرقا).

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في **كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن**: **"مِنْ أَشْرَفِ عُلُومِ الْقُرْآنِ: عِلْمُ نُزُولِهِ، وَجِهَاتِهِ، وَتَرْتِيبِ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ، وَالْمَدِينَةِ، وَمَا نَزَلَ بِمَكَّةَ وَحُكْمُهُ مَدَنِيٌّ، وَمَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ وَحُكْمُهُ مَكِّيٌّ، وَمَا نَزَلَ بِمَكَّةَ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَمَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ فِي أَهْلِ مَكَّةَ، وَمَا يُشْبِهُ نُزُولَ الْمَكِّيِّ فِي الْمَدَنِيِّ، وَمَا يُشْبِهُ نُزُولَ الْمَدَنِيِّ فِي الْمَكِّيِّ، وَمَا نَزَلَ بِالْجُحْفَةِ، وَمَا نَزَلَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمَا نَزَلَ بِالطَّائِفِ، وَمَا نَزَلَ بِالْحُدَيْبِيَةَ، وَمَا نَزَلَ لَيْلًا، وَمَا نَزَلَ نَهَارًا، وَمَا نَزَلَ مُشَيَّعًا، وَمَا نَزَلَ مُفْرَدًا، وَالْآيَاتُ الْمَدَنِيَّاتُ فِي السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، وَالْآيَاتُ الْمَكِّيَّاتُ فِي السُّوَرِ الْمَدَنِيَّةِ، وَمَا حُمِلَ مِنْ مَكَّةَ إلى الْمَدِينَةِ، وَمَا حُمِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إلى مَكَّةَ، وَمَا حُمِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إلى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَمَا نَزَلَ مُجْمَلًا، وَمَا نَزَلَ مُفَسَّرًا، وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَدَنِيٌّ، وَبَعْضُهُمْ: مَكِّيٌّ، فَهَذِهِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ وَجْهًا مَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا وَيُمَيِّزْ بَيْنَهَا لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. انْتَهَى"**[١].

الطريق إلى معرفة المكي والمدني:

النقل الصحيح عن الصحابة ﭫ الذين كانوا يشاهدون أحوال الوحي والتنزيل، والتابعين الآخذين عنهم.

---

[١] الإتقان في علوم القرآن (١/٣٦)، للسيوطي رحمه الله.

تعريف المكي والمدني

التقسيم الأول:

المكي: هو ما نزل قبل الهجرة، وإن كان نزوله بغير مكة، ويدخل فيه ما نزل على النبي ﷺ في سفر الهجرة، وهو ما عليه جمهور العلماء.

والمدني: هو ما نزل بعد الهجرة، وإن كان نزوله بغير المدينة، ويدخل فيه ما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعد الهجرة، كسورة الفتح، نزلت على النبي ﷺ منصرفه من الحديبية.

وعليه فقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[النساء: ٥٨]، فالآية مدنية، وإن كانت نزلت بمكة والنبي ﷺ في جوف الكعبة عام الفتح.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾[المائدة: ٣] مدنية، وإن كانت نزلت بعرفة.

وهذا الاصطلاح لوحظ فيه الزمان، **وهذا التقسيم هو الراجح**

التقسيم الثاني:

وهذا التقسيم لوحظ فيه المكان.

فالمكي: ما نزل في مكة وضواحيها، كالمنزل عليه بمنى، وعرفات، والحديبية.

والمدني: مانزل بالمدينة وضواحيها، كالمنزل عليه ببدر، وأُحُد.

ويُرَد على هذا التعريف أنه غير حاصر؛ لأنه لا يثبت الواسطة، فما نزل عليه بالأسفار لا يسمى مكيا ولا مدنيا، مثل: ما أنزل على الرسول ﷺ في تبوك ﴿ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُ ﴾[التوبة: ٤٢].

التقسيم الثالث:

المكي: ما وقع خطابا لأهل المكة. **المدني**: ما وقع خطابا لأهل المدينة.

ويحمل على هذا قول ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

﴿ ءَامَنُواْ ﴾ أنزل بالمدينة، وما كان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ فبمكة.

وهذا الاصطلاح لوحظ فيه المخاطب.

ويرد على هذا الرأي:

أولا: أن التقسيم غير حاصر، فهناك آيات كثيرة جدا في القرآن الكريم ليس فيها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، ولا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

ثانيا: هذا التقسيم منقوض بسورة البقرة، وهي مدنية وفيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾[البقرة: ٢١]، وبسورة النساء وهي مدنية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾[النساء: ١].

أنواع السور المكية والمدنية:

أولا: مكي خالص، مثل: سورة العلق، والمدثر.

ثانيا: مدني خالص، مثل: سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة.

ثالثا: مكي بعضه مدني، مثل: سورة الأنعام مكية إلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ ﴾ [الأنعام: ٩١]،فقد نزلت في مالك بن الصيف من اليهود.

رابعا: مدني بعضه مكي، مثل: سورة الأنفال مدنية إلا قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[الأنفال: ٣٠]، ومثل: سورة براءة المدنية إلا قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[التوبة: ١١٣].

الضوابط التي يعرف بها المكي والمدني:

١. سماعي، وهو النقل الصحيح عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

٢. قياسي، ضوابط كلية لمعرفة كل منهما، مبناها التتبع والاستقراء.

ضوابط المكي:

١. كل سورة فيها ﴿ كَلَّآ ﴾ فمكية، وقد وردت في القرآن ثلاثا وثلاثين مرة في النصف الأخير من القرآن، وحكمة ذلك أن ما نزل بمكة نزل على الجبابرة، فتكررت ﴿ كَلَّآ ﴾ على وجه التهديد، بخلاف ما نزل بالمدينة على اليهود لذلتهم وضعفهم.

٢. كل سورة أولها حروف المعجم مكية إلا البقرة، وآل عمران، واختلفوا في الرعد.

٣. كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة.

٤. كل سورة فيها سجدة مكية سوى الحج (عند من يقول أنها مدنية).

٥. كل سورة فيها ذكر قصص الأنبياء والملائكة مكية سوى البقرة، وآل عمران.

ضوابط المدني:

١. كل سورة فيها ذكر الحدود والفرائض مدنية.

٢. كل سورة فيها ذكر المنافقين وأحوالهم فمدنية إلا صدر سورة العنكبوت.

٣. كل سورة فيها الإذن بالجهاد، أو الأمر به، وأحكامه فهي مدنية سوى الحج لمن يراها مكية.

السور المكية والمدنية المختلف فيها

نقل السيوطي رحمه الله في كتابه عن عمرو بن العلاء قال: "**سَأَلْتُ مُجَاهِدًا عَنْ تَلْخِيصِ آيِ الْقُرْآنِ الْمَدَنِيِّ مِنَ الْمَكِّيِّ؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ:** "**سُورَةُ الْأَنْعَامِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ جُمْلَةً وَاحِدَةً فَهِيَ مَكِّيَّةٌ إِلَّا ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْهَا نَزَلْنَ بِالْمَدِينَةِ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ ﴾**[الأنعام: ١٥١] **إِلَى تَمَامِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ وَمَا تَقَدَّمَ مِنَ السُّوَرِ مَدَنِيَّاتٌ.**

وَنَزَلَتْ بِمَكَّةَ سُورَةُ الْأَعْرَافِ، وَيُونُسَ، وَهُودٍ، وَيُوسُفَ، وَالرَّعْدِ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَالْحِجْرِ، وَالنَّحْلِ سِوَى ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا، فَإِنَّهُنَّ نَزَلْنَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فِي مُنْصَرَفِهِ مِنْ

أُحُدٍ، وَسُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْكَهْفِ، وَمَرْيَمَ، وَطه، وَالْأَنْبِيَاءِ، وَالْحَجِّ سِوَى ثَلَاثِ آيَاتٍ: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ﴾ [الحج: ١٩-٢١] إِلَى تَمَامِ الآيَاتِ الثَّلَاثِ، فَإِنَّهُنَّ نَزَلْنَ بالمدينة، وسورة المؤمنين، وَالْفَرْقَانِ، وَسُورَةُ الشُّعَرَاءِ سِوَى خَمْسِ آيَاتٍ مِنْ آخراها نَزَلْنَ بِالْمَدِينَةِ: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إِلَى آخِرِهَا، وَسُورَةُ النَّمْلِ، وَالْقَصَصِ، وَالْعَنْكَبُوتِ، وَالرُّومِ، وَلُقْمَانَ سِوَى ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْهَا نَزَلْنَ بِالْمَدِينَةِ ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧] إِلَى تَمَامِ الْآيَاتِ، وَسُورَةُ السَّجْدَةِ سِوَى ثَلَاثِ آيَاتٍ: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾ [السجدة: ١٨] إِلَى تَمَامِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ، وَسُورَةُ سَبَأٍ، وَفَاطِرٍ، وَيس، وَالصَّافَّاتِ، وَص، وَالزُّمَرِ سِوَى ثَلَاثِ آيَاتٍ نَزَلْنَ بِالْمَدِينَةِ فِي وَحْشِيٍّ قَاتِلِ حَمْزَةَ رضي الله عنه: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ ﴾ [الزمر: ٥٣] إِلَى تَمَامِ الثلاث آيات، والحواميم السبع، وق، والذاريات، وَالطُّورُ، وَالنَّجْمُ، وَالْقَمَرُ، وَالرَّحْمَنُ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالصَّفُّ، وَالتَّغَابُنُ إِلَّا آيَاتٌ مِنْ آخِرِهَا نَزَلْنَ بِالْمَدِينَةِ، وَالْمُلْكُ، وَن، وَالْحَاقَّةُ، وَسَأَلَ، وَسُورَةُ نُوحٍ، وَالْجِنِّ، وَالْمُزَّمِّلِ إِلَّا آيَتَيْنِ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ ﴾ [المزمل: ٢٠]، وَالْمُدَّثِّرِ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ إِلَّا ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾، و ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ① ﴾، و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ﴾، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ① ﴾، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ① ﴾ فَإِنَّهُنَّ مَدَنِيَّاتٌ، وَنَزَلَ بِالْمَدِينَةِ سُورَةُ الْأَنْفَالِ، وَبَرَاءَةٍ، وَالنُّورِ، وَالْأَحْزَابِ، وَسُورَةُ مُحَمَّدٍ، وَالْفَتْحِ، وَالْحُجُرَاتِ، وَالْحَدِيدِ، وَمَا بَعْدَهَا إِلَى التَّحْرِيمِ" هَكَذَا أَخْرَجَهُ بِطُولِهِ وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ رِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَشْهُورِينَ[1].

---

[1] الإتقان في علوم القرآن (١/ ٤٠)، للسيوطي رحمه الله.

ونقل رحمه الله أقوالا كثيرة في تعيين السور المكية والمدنية، من أوفقها ما ذكره أبو الحسن الحَصَّار في كتابه الناسخ والمنسوخ، إذ يقول: "**الْمَدَنِيُّ بِاتِّفَاقِ عِشْرُونَ سُورَةً والمختلف فيه اثْنَتَا عَشْرَةَ سُورَةً وَمَا عَدَا ذَلِكَ مَكِّيٌّ بِاتِّفَاقٍ ثُمَّ نَظَمَ فِي ذَلِكَ أَبْيَاتًا**"[1].

والعشرون سورة المدنية باتفاق هي: سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والجمعة، والمنافقين، والطلاق، والتحريم، والنصر.

والمختلف فيها: سورة الفاتحة، والرعد، والرحمن، والصف، والتغابن، والتطفيف، والقدر، ولم يكن، وإذا زلزلت، والإخلاص، والمعوذتين.

والمكية باتفاق: ما عدا ذلك وهي اثنتان وثمانون سورة، وإلى هذا القسم يشير في منظومته بقوله:

وَمَا سِوَى ذَاكَ مَكِّيٌّ تَنَزُّلُهُ ... فَلَا تَكُنْ مِنْ خِلَافِ النَّاسِ فِي حَصَرِ

فَلَيْسَ كُلُّ خِلَافٍ جَاءَ مُعْتَبَرًا ... إِلَّا خِلَافٌ لَهُ حَظٌّ مِنَ النَّظَرِ

مميزات المكي و المدني

أولا: مميزات المكي:

١. الدعوة إلى أصول الإيمان، وإقامة الأدلة العقلية والكونية؛ وذلك لأن القوم كانوا منغمسين في الشرك.

٢. مجادلة المشركين، وإقامة الحجج عليهم، كما في سورة الزخرف: ﴿ **بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ**

[1] الإتقان في علوم القرآن (٤٤/١)، للسيوطي رحمه الله.

﴿ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢ – ٢٤].

٣. الدعوة إلى أصول التشريعات العامة، والآداب، والفضائل: ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ ﴾ [الأنعام: ١٥١] ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٤. ذكر قصص الأنبياء مع قومهم؛ ليكون في قصصهم عبرة: ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [هود: ٤٩].

٥. قصر أكثر آياته وسوره؛ وذلك لأن أكثر أهل مكة يومئذ يمتازون بالفصاحة والبلاغة، وتملكهم لناصية القول، فكان من المناسب لهم العبارات الموجزة المعجزة، فها هو الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن قال: "**فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالشعرِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزِهِ، وَلَا بِقَصِيدِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وإنَّه لمنيرٌ أعلاه، مشرقٌ أسفلُه، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى عليه، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ**"[1]، فلما أكرهته قريش أن يقول قولا ينقض مقالته الأولى، كان الصراع العنيف في نفسه واضحا، صَوَّرَه القرآن، وقد بدت على وجهه آثار الصراع ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المدثر: ١٨ – ٢٤].

٦. حمل حملة شعواء على الشرك، والوثنية، وعلى الشبهات التي تذَرَّع بها أهل مكة.

٧. فَتَّح أعينهم على ما في أنفسهم من شواهد الحق، وعلى ما في الكون من أعلام الرشد.

٨. تحدث عن عاداتهم القبيحة من القتل، ووأد البنات.

---

[1] قال السيوطي رحمه الله في "**لباب النقول**" (٣١٩): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

ثانيا: مميزات القسم المدني:

١. التحدث عن التشريعات التفصيلية، والأحكام العملية، وتفاصيل الأحكام، وأنواع القوانين المدنية الجنائية، والحربية، والاجتماعية، والشخصية، والأحكام العملية في العبادات، والمعاملات، وغيرها؛ وذلك لأن حياة المسلمين المدنية بدأت في الاستقرار.

٢. محاجة أهل الكتاب، وبيان ضلالهم في عقائدهم.

٣. بيان ضلال المنافقين، وإظهار فضائحهم، كما في سورة التوبة.

٤. قواعد التشريع الخاصة بالجهاد، كما في سورة البقرة، والتوبة، والأنفال.

٥. طول أكثر الآيات؛ لاشتمالها على ما سبق، وهي تقتضي البسط، والإطناب، وكذلك لأن أهل المدينة وكذلك اليهود ما كان عندهم من فصاحة أهل مكة، والإطناب في مقام الإطناب لازم، وكذلك الإيجاز في مقام الإيجاز واجب، ووضع أحدهما مقام الآخر ليس من البلاغة في شيء، وقد سلك القرآن المسلكين.

الشبه التي أثيرت حول المكي و المدنى

اعتاد الملحدون وأعداء الإسلام أن يلتمسوا المطاعن في القرآن؛ ليشككوا المسلمين فيه لإضعاف الإسلام، ولكن هذه الطعون صادرة عن هوى متبع وعصبية؛ ولهذا جافاهم الحق والصواب، وعلينا أن نتصدى ونتسلح للرد عليها.

أنا لا ألومُ الْمُسْتَبِدَا ... إذا تعنت أو تعدى

فسبيله أن يستبدَا ... وشأننا أن نستعدا

الشبهة الأولى:

إن القسم المكي يمتاز بتقطع الفكرة، وقصر السور، أما القسم المدني فهو طويل السور والآيات، وأفكاره منسجمة؛ لتأثر محمد ﷺ بالبيئة المدنية التي فيها أهل الكتاب أو من اتصل بهم، وهم لهم القدرة على إنشاء العبارات الطويلة.

الرد:

١. القرآن كعقد منظم تناسقت حباته، وكلُّ القرآن -مكي ومدني- متآلف المعنى، ويعرف ذلك جيدا من رزق التبحر في اللغة، والوقوف على أسرار البلاغة، وهذه الشبهة أرسلها صاحبها مجردة، فهي دعوى عارية بلا برهان، فلم لم يثبت دعوته ويظهر لنا مراده بالاستشهاد بآية وتوضيح ما فيها من خلال ما يزعم.

٢. أن طول الكلام وقصره تابع لمقتضى الحال الذي هو عماد البلاغة، وقد مر قريبا ذكر الحِكَم من قصر الآيات وطولها في القسم المكي والمدني.

٣. أي دارس للأدب كيف تسول له نفسه أن يقول: "إن أهل المدينة أفضل من أهل مكة في البلاغة، والفصاحة"؟!! ومعروف أن قريشا كانت المتزعمة في هذا المجال، ثم إن أهل المدينة لما تحداهم القرآن وكان متأثرا بهم -كما يزعم صاحب الشبهة- فلِمَ لَمْ يعارضوه وسكتوا؟

إن هذه الشبهة الغرض منها التشكيك في أن القرآن من عند الله ﷻ

ومعروف أن قريشا كانت أوسط العرب دارا، وأبرعهم في الخطابة، والشعر، والتفنن في الأساليب، وإليها كان يحتكم العرب في شعرهم، ونثرهم، وقد ساعدها على هذا اجتماع العرب في مواسم الحج، والمجامع الأدبية الحافلة، والأسواق السنوية التي كانت تعقد بالقرب من دارهم، في عكاظ، ومجنة، وذي المجاز، فكانوا يتخيرون من لغتهم ما خف على اللسان، وحسن في الأسماع وجاد من الأساليب.

الشبهة الثانية:

القسم المكي يمتاز بمميزات الأوساط المنحطة، ففيه العنف، والقسوة، والسباب، والوعيد، مثل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٣ – ١٤]، أما القسم

المدني فهادئ، وديع، يقابل السوء بالحسنى.

الرد:

١. القسم المكي فيه ثقافة، واستنارة أيضا، وفيه سمو، ورفعة، وإن قسا فعلى الكافرين، والمفسدين، وإذا لان فللأخيار والصالحين، أما ما اشتمل عليه القسم المكي من وعيد وإنذار فهذا لا يسمى سبابا إلا في دماغ قائل هذه الشبهة.

٢. القسم المدني اشتمل على الوعيد، والإنذار، مثل القسم المكي، ففي سورة البقرة المدنية: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤** ﴾[البقرة: ١٧٤]، وفي سورة المائدة المدنية ﴿ **لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ** ﴾[المائدة: ٧٨]، وإلى غير ذلك من الآيات، وفي القسم المكي اشتمل أيضا على اللين، مثل: قوله سبحانه في سورة الأعراف المكية: ﴿ **خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩** ﴾[الأعراف: ١٩٩]، وفي سورة فصلت: ﴿ **وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ** ﴾[فصلت: ٣٤]، وغير ذلك، وهكذا ترى أن القرآن يسلك الوعيد والشدة متى اقتضى المقام ذلك.

٣. سورة المسد التي ذكرها الطاعن أن فيها سبابا، لو علم الطاعن سبب النزول، وما قاله أبو لهب للنبي ﷺ -قال له: **"تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ"**[1]- وما كانت تفعله زوجه وكانت تطرح الشوك في طريق رسول الله ﷺ، فنزلت السورة تهديدا، وردعا لهما ولغيرهما، أَوَ كان الطاعن ينتظر من القرآن الحكيم أن يظهر لهم الرضا على فعلهم؟!! وهكذا لو علم الطاعن في السور التي فيها هذا الوعيد سبب نزولها لعلم حكمة القرآن البليغة.

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٣٩٤).

وأما سورة العصر، فليس فيها سباب، وليس فيها عنف، ولا شدة، وكل ما عرضت له السورة أن الناس قسمان؛ قسم ناج، وقسم خاسر، وأما قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾[الفجر: ١٣ – ١٤]، فلا سباب فيه، ولا عنف، وكل ما فيه إخبار من الحق عز شأنه بأن عادا، وثمود، وفرعون لما طغوا في البلاد، وظلموا العباد، وأكثروا من الفساد أنزل الله بهم العقاب، فالمراد بصب السوط إنزال العقوبة الشديدة بهم.

الشبهة الثالثة:

القسم المكي يمتاز بالهروب من المناقشة، وبالخلو من المنطق والبراهين، مثل قوله: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ ﴾[الكافرون: ١]، أما القسم المدني فهو يناقش الخصوم بالحجة والبرهان، مثل: قوله ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[الأنبياء: ٢٢]، فيستدل الطاعن أيضا على تغير القرآن بالبيئة، والوَسَط، وغرضه التشكيك في أن القرآن من عند الله.

الرد:

١. لا يجرؤ على هذه المقالة إلا أحد رجلين؛ إما جاهل، أو زنديق، فالآية التي استشهد بها أنها مدنية وفيها من الحجة والبرهان أجمع العلماء على أنها مكية.

٢. ولو نظر هذا المسكين إلى الآيات المكية لوجد فيها استفاضة بالأدلة والبراهين، مثل: قوله تعالى في سورة الغاشية ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ ﴾[الغاشية: ١٧]، وفي الواقعة ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ﴾[الواقعة: ٥٨]، وهكذا الكثير والكثير.

٣. أما ما ذكره هذا الطاعن من سورة الكافرون، لا يصح أن يكون هذا دليلا عنده؛ لأن السورة لم تسق مساق الدليل، إنما سيقت للرد على كفار قريش، فجاءت على هذا النسق: ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ ﴾ [الكافرون: ٢]: نفى أن تقع منه عبادة لآلهتهم في الحال، ثم

قال: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ [الكافرون: ٤] فأتى بالجملة الاسمية؛ لإفادة أن عدم عبادته لآلهتهم فيما يستقبل ثابت مستمر، ففيه قطع لأطماعهم، فسورة الكافرون مثلها سورة الإخلاص، بمنزلة النتيجة لمئات الأدلة والبراهين التي أقامها الله، ومن اللطائف أنها وقعت في آخر القرآن في الترتيب الكتابي كما تقع النتيجة مؤخرا.

الشبهة الرابعة:

أن القسم المكي خال من التشريعات التفصيلية بعكس القسم المدني، ولا شك أن هذا أثر من آثار التوراة والإنجيل على أسلوب القرآن.

الرد:

١. وكما مر في الفرق بين المكي والمدني، كان من الملائم لأهل مكة دعوتهم إلى أصول الإيمان والشرائع، حتى إذا ما استضاءت قلوبهم بالإيمان كُلِّفوا بالتشريعات، وكيف يأتي لهم القرآن بالفروع قبل الأصول؟!!

٢. كيف يصح في العقول أن يكون النبي ﷺ والمسلمون قد أخذوا عن أهل الكتاب من اليهود، وتثقفوا بثقافتهم، مع أن القرآن رماهم بالكفر، والفسق، والجرأة على الله، وتحريفهم، وخيانتهم؟!! يقول تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٩٤]، ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٣] ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ٧٨]، فلو كان كما يقول الطاعن لردت اليهود على الرسول ﷺ: كيف تعلمت منا وتسفهنا وترمينا بالكفر؟!

٣. أن التشريع الإسلامي عام في جميع الأزمنة والأمكنة، أما التشريع الإسرائيلي كان خاصا بشعب خاص، وموقوتا بوقت خاص، فلا يصح أن يكون أساسا لتشريع عام.

الشبهة الخامسة:

أن القِسْم المكي يكثر فيه القَسَمُ بالضحى، والشمس، والقمر، إلى آخر ما هو جدير بالبيئات الساذجة التي تشبه بيئة مكة تأخرا وانحطاطا، أما القسم المدني فقد خلا من القَسَم بهذه المحسوسات.

الرد:

١. كما مرَّ، كان أهل مكة أوفى ذوقا، وأرهف شعورا، وأذكى عقولا من أهل المدينة، فكيف يفهم البراهين التي اشتمل عليها القرآن المكي مع الإيجاز إلا قوم أذكياء؟

لما نزل قوله تعالى ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾** ﴾ [الأنبياء: ٩٨] "**شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، وَقَالُوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا، فجاءهم ابْنُ الزِّبَعْرَى، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا، قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالُوا: قَالَ:** ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾** ﴾ ، **قَالَ: ادْعُوهُ لِي، فَدَعَا مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَالَ ابْنُ الزِّبَعْرِي: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا شَيْءٌ لآلِهَتِنَا خاصَّةً أَمْ لِكُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلْ لِكُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﷻ، قَالَ: فَقَالَ: خَصَمْنَاهُ وَرَبِّ هَذِهِ الْبنية، يَا مُحَمَّدُ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى عَبْدٌ صَالِحٌ، وَعُزَيْرًا عَبْدٌ صَالِحٌ، وَالْمَلائِكَةَ عِبَادٌ صَالِحُونَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَهَذِهِ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى، وَهَذِهِ الْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا، وَهَذِهِ بَنُو مَلِيحٍ تَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ، قَالَ: فَضَجَّ أَهْلُ مَكَّةَ، فَنَزَلَتْ:** ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠١] **قَالَ: وَنَزَلَتْ:** ﴿ **وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ** ﴾ [الزخرف: ٥٧] **وهو الضجيج**"[1].

كذلك هل يجيدُ الجدلَ الجاهلُ الساذجُ؟! فقد شهد القرآن أنهم يجادلون بقوله تعالى:

[1] أخرجه أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في شرح مشكل الآثار (٩٨٦)، قال الشيخ مقبل رحمه الله في صحيح أسباب النزول (١٥١): صحيح لغيره.

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ ﴾ [الزخرف: ٥٧ – ٥٨].

٢. الله ﷻ كما أقسم بالمحسوسات أقسم بغير ذلك من المعقول، والملائكة، وحياة الرسول ﷺ، وبذات الله تعالى.

٣. أن القسم بهذه المحسوسات لا لأنها محسوسة، وإنما هو تنبيه إلى ما تشتمل عليه من إحكام في الخلق والصنعة.

الشبهة السادسة:

إن القِسْم المكي قد افتتح كثير من السور بألفاظ غير ظاهرة المعنى، مثل: ﴿ حمٓ ﴾، ﴿ طسٓمٓ ﴾، ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾، والخطاب بها كالخطاب بالمهمل الذي لا يفيد المعنى، وربما يكون المقصود من ذلك التعمية، أو التهويل، أو هما رموز وضعت لتميز بين المصاحف المختلفة ثم ألحقت بالقرآن مع مرور الزمن.

الرد:

١. دعوى أن هذه الألفاظ ليس لها مدلول دعوى ممن لم يطلع على آراء العلماء فيها، وقد ذهب كثير من العلماء أنها أسماء للسور، وذهب المحققون إلى أنها أسماء للحروف الهجائية، وفائدة ذكرها في فواتح السور إقامة الحجة على إعجاز القرآن، فهذا القرآن مركب من مثل هذه الحروف الهجائية التي تحداهم بها القرآن.

٢. دعوى أنها ألفاظ قصد منها التعمية، والتهويل، أو أنها رموز للمصاحف، كلام فرضي للتشكيك؛ لأن أحد الاحتمالين ينفي الآخر؛ فكون هذه الحروف للتهويل يقتضي أن النبي ﷺ نطق بها، وكونها رموزا إلخ يقتضي أن لا تكون نطق بها الرسول ﷺ ولا كانت في عهده، فهذه تخمينات خالية من نزاهة البحث.

كيف غاب عن الناقد الباحث أن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم بالغوا جدا في العناية بالقرآن، والمحافظة عليه، حتى أنهم بالغوا في تجريد المصاحف مما ليس بالقرآن، حتى أنهم لم يعجموه، ولم يشكلوه، ولم يكتبوا أسماء السور وعدد الآيات؟! فكيف يكون لمن عنده نزاهة البحث أن يقول: "إن الألفاظ رموز لحقت بالقرآن، وهي ليست منه"؟!

صلات تتعلق بالمكي والمدني:

وهناك أنواع ذكرها السيوطي رحمه الله فى إتقانه، وهي بسبب من المكي والمدني، كالحضري والسفري، والليلي والنهاري، والصيفي والشتائي.

الصلة الأولى : الحضري والسفري:

أمثلة الحضري كثيرة، وجُل القرآن نزل في الحضر، **أما السفري فله أمثلة منها:**

قوله تعالى ﴿ **ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ** ﴾[المائدة: ٣]، ففي الصحيح أنها نزلت عشية يوم الجمعة عام حجة الوداع[1].

الصلة الثانية: النهاري والليلي:

أمثلة النهاري كثيرة جدا، قال ابن حبيب: "**نَزَلَ أَكْثَرُ الْقُرْآنِ نَهَارًا**"[2]، **أما الليلي فمن أمثلته:** سورة الفتح ففي الحديث الصحيح أن ذلك كان ليلا.

الصلة الثالثة: الصيفي والشتائي:

مما لا شك فيه أن القرآن نزلت منه آي كثيرة في الصيف، وآي كثيرة في الشتاء، وقد أحصى أحد العلماء بعضا من ذلك، **فمن أمثلة الصيفي:**

الآيات النازلة في غزوة تبوك فقد كانت في شدة الحر، كما دل عليه القرآن والسنة، وذلك مثل: ﴿ **لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ** ﴾[التوبة: ٤٢]، ومثل آية: ﴿ **وَقَالُواْ لَا**

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٣٠١٧).

[2] الإتقان في علوم القرآن (٨١/١)، للسيوطي رحمه الله.

﴿ تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١ ﴾[التوبة: ٨١].

ومن أمثلة الشتائي:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ ﴾[النور: ١١] إلى قوله: ﴿ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦ ﴾[النور: ٢٦]

ففي الصحيح عن عائشة أنها نزلت في يوم شات[1].

الصلة الرابعة: ما تأخر حكمه عن نزوله، وما تأخر نزوله عن حكمه:

فمن أمثلة ما تأخر حكمه عن نزوله:

قوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ ﴾ [الأعلى: ١٤ – ١٥]، فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنها نزلت في زكاة الفطر[2]، وقد استشكل ذلك؛ لأن السورة مكية، ولم يكن بمكة عيد مشروع، ولا زكاة، ولا صوم، وقد أجاب البغوي "**بِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النُّزُولُ سَابِقًا عَلَى الْحُكْمِ**"[3] وهو جواب حسن.

ومن أمثلة ما تأخر نزوله عن حكمه:

آية الوضوء، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "**سَقَطَتْ قِلَادَةٌ لِي بِالْبَيْدَاءِ، وَنَحْنُ دَاخِلُونَ الْمَدِينَةَ، فَأَنَاخَ النَّبِيُّ ﷺ وَنَزَلَ، فَثَنَى رَأْسَهُ فِي حَجْرِي رَاقِدًا، أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَكَزَنِي لَكْزَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: حَبَسْتِ النَّاسَ فِي قِلَادَةٍ، فَبِي الْمَوْتُ لِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَوْجَعَنِي، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ، وَحَضَرَتِ الصُّبْحُ، فَالْتُمِسَ الْمَاءُ فَلَمْ يُوجَدْ، فَنَزَلَتْ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[المائدة: ٦] الآية"[4]، فالآية مدنية إجماعا، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة.

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٧٧٠).

[2] أخرجه البيهقي رحمه الله في السنن الكبرى (٧٦٦٧)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (٣/٤٣١): ثابت.

[3] الإتقان في علوم القرآن (١/١٣٢)، للسيوطي رحمه الله.

[4] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٦٠٨).

الصلة الخامسة:

ما حُمِل من مكة إلى المدينة:

فمن أمثلة ذلك سورة سبح، فعن البراء بن عازب أنه قال : "**أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرِئَانِنَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ، وَبِلَالٌ، وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ، حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ، يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْتُ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ١ ﴾[الأعلى: ١] فِي سُوَرٍ مِثْلِهَا**"[1].

ما حُمِل من المدينة إلى مكة:

صدر سورة براءة، فقد أرسل النبي ﷺ به عليا ليقرأه على الناس في الموسم سنة تسع كما في الصحيح[2]، ومن ذلك آية الربا فى سورة البقرة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٧٨ ﴾[البقرة: ٢٧٨].

وما حمل من مكة إلى الحبشة:

ومثاله: كسورة مريم، فقد صح[3] أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قرأها على النجاشي لما ذهب رسولا قريش إلى النجاشي كي يرد المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة إلى مكة، فأبى حتى يسمع كلامهم، فتكلم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فأحسن وأجاد، فقال له النجاشي: "**هل معك شيء مما جاء به عن الله تقرؤه عليّ؟ فقال جعفر رضي الله عنه : نعم، وقرأ عليه سورة مريم، فلما سمع النجاشي السورة قال: إن هذا والذي جاء به عيسى**

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٤١).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٦٥٥).

[3] أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (١٧٤٠)، وقال الألباني رحمه الله في فقه السيرة للغزالي رحمه الله (١١٥): إسناده صحيح.

ليخرج من مشكاة واحدة، وقال البطارقة: هذه كلمات تصدر من النبع الذي صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح".

وما حمل من المدينة إلى الروم:

ومثاله قوله تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]، فقد صح أن رسول الله ﷺ كتبها في الكتاب الذي بعث به إلى هرقل عظيم الروم[١] والمقوقس عظيم مصر.

الصلة السادسة: ما نزل مفرقا، وما نزل جمعا:

أما الأول: فأمثلته كثيرة لا يحصيها العد؛ لأن غالب القرآن نزل كذلك، فمن ذلك في السور القصار سورة اقرأ، فقد نزل صدرها إلى ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ٥] والمدثر، ثم نزلت أواخرها بعد هذا، وفي السور الطوال: صدر سورة براءة، وصدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية؛ بسبب وفد نجران لما قدموا على النبي ﷺ.

ومثال الثاني: في السور القصار: الفاتحة، والإخلاص، والكوثر، ومما ذكروه من السور الطوال: سورة الأنعام.

[١] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٧).

المبحث السابع

جمع القرآن وتاريخه

يطلق على جمع القرآن تارة حفظه في الصدور، وتارة كتابته في الصحف والسطور، ومرّ الجمع بالمعنى الثاني بأطوار ثلاثة:

١. جمعه في عهد النبي ﷺ.

٢. جمعه في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

٣. جمعه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أولا: جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور:

كان النبي ﷺ شديد العناية بحفظ القرآن، حتى بلغ من شدة عنايته أنه كان يحرك به لسانه عندما يتلوه عليه جبريل، يقول تعالى ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ** ﴿١٦﴾ ﴾[القيامة: ١٦]، وكان يعارضه جبريل القرآن في رمضان كل عام، حتى كان العام الذي تُوُفي فيه عارضه مرتين، فكان النبي ﷺ مرجع المسلمين في حفظ القرآن الكريم وفهمه.

أما الصحابة رضي الله عنهم فقد جعلوا القرآن مرجعهم الأول، جعلوه مسلاتهم في فراغهم، ومتعبدهم في ليلهم، وكانوا يعتمدون في حفظ القرآن على تلقيهم من النبي ﷺ.

فحفظ القرآن جَمٌّ غفير من الصحابة رضي الله عنهم، أما قول أنس رضي الله عنه: **"مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يَجْمَعِ الْقُرْآنَ غَيْرُ أَرْبَعَةٍ: أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ"**[١]، فقد أجيب عن هذه الرواية: أن هؤلاء مَن حفظوا من الخزرج؛ لأنه قال ذلك في عرض المفاخرة بين الأوس والخزرج.

وبعد وفاة النبي ﷺ أَتَمَّ الآلاف من الصحابة رضي الله عنهم حفظه، كذلك من النساء من حفظ القرآن كاملا.

---

[١] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٠٠٤)، ورواه مسلم رحمه الله بلفظ قريب في صحيحه (٢٤٦٥).

ثانيا: جمع القرآن بمعنى كتابته:

١. في عهده ﷺ:

كان للنبي ﷺ كُتَّابٌ يكتبون الوحي، منهم أبو بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبان وخالد ابنا سعيد، وخالد بن الوليد، ومعاوية بن سفيان، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، رضي الله عنهم وغيرهم، فكان إذا نزل على النبي ﷺ شيء دعا بعض من يكتبون، فيأمرهم بكتابة ما نزل ويرشدهم إلى موضعه.

ولم تكن أدوات الكتابة ميسرة، فكانوا يكتبون على: **الرقاع** (جمع رقعة، قطعة من جلد أو قماش أو ورق)، و**العُسب** (جمع عسيب، وهو طرف الجريد العريض)، و**الأكتاف** (جمع كتف، وهي العظام العريضة من أكتاف الحيوان)، و**اللخاف** (جمع لَخْفَة، وهي الحجارة الرقيقة)، و**الأقتاب** (جمع قَتَب، وهي الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه)، وقد أذن النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم في كتابة القرآن دون السنة، ففي الحديث: **"لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ"**[١].

والسبب الباعث على كتابته في عهد النبي ﷺ:

١. معاضدة المكتوب للمحفوظ؛ لتتوفر للقرآن كل عوامل الحفظ.

٢. تبليغ الوحي على الوجه الأكمل؛ لأن الاعتماد على الحفظ فقط غير كاف، فالحفظة عرضة للنسيان والموت.

ولَمْ يجمع النبي القرآن في مكان واحد لما يأتي:

١. ما كان يترقبه النبي ﷺ من تتابع نزول الوحي ونزول بعض آيات ناسخة لبعض أحكامه وألفاظه.

٢. ترتيب الآيات والسور لم يكن على حسب النزول، بل على حسب تناسب الآيات،

---

[١] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٣٠٠٤).

وترابطها، فلو كتب النبي ﷺ القرآن كله في مكان واحد لكان عرضة للتغير، والإزالة، والكشط، والمحو.

٢. جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه:

لما تولى أبو بكر الصديق الخلافة كان أول عمل قام به محاربة أهل الردة، والقضاء على هذه الفتنة، ولما وقعت موقعة اليمامة كثر القتل في الصحابة رضي الله عنهم، ومات من حفاظ القرآن خلق كثير، فقد روي عن زيد بن ثابت أنه قال: "**أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِذَلِكَ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، وَلَا نَتَّهِمُكَ، كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ، فَاجْمَعْهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُمْتُ فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرِّقَاعِ، وَالْأَكْتَافِ، وَالْعُسُبِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾** [التوبة: ١٢٨] **إِلَى آخِرِهِمَا، وَكَانَتِ الصُّحُفُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا الْقُرْآنُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ**"[١].

---

[١] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٦٧٩).

فالجَمْع في عهد أبي بكر رضي الله عنه يعني: أنه جمع ما كتب في عهد الرسول ﷺ على اللخاف، والأكتاف، والأقتاب، والعُسُب، فجمع كل هذا من هنا وهناك، واشترطوا أن لا يكتبوا آية إلا إذا كانت مكتوبة في عهده ﷺ ومحفوظة في صدور الرجال، وهذا يحل إشكال ما رواه البخاري في آخر حديثه؛ أنهم لم يجدوا آخر سورة التوبة إلا مع أبي خزيمة رضي الله عنه، إذ أن الحفظة كانوا كثيرين، ولكن لم يجدوا الآيتين مكتوبتين إلا عنده، وهذا يدل على العناية الفائقة التي حظيت بها الكتابة في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

وقد امتاز الجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه بما يأتي:

١. أنه اقتصر فيه على ما لم تُنسخ تلاوته، وجَرَّده من كل ما ليس بقرآن.

٢. أنه لم يقبل فيه إلا ما أجمع الجميع على أنه قرآن.

٣. أنه كان مكتوبا بجميع الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

٤. أنه كان مرتَّب الآيات على الوضع الذي نقرؤه اليوم، ولم يكن مرتب السور، فكانت كل سورة مستقلة في الكتابة.

وهذه الدقة الفائقة والتثبت البالغ لم يكن لغير صحف أبي بكر رضي الله عنه، فهي النسخة الأصلية الموثوق بها، وقد كانت هناك صحف لبعض الصحابة رضي الله عنهم كتبوا فيها القرآن، ولكن لم تكن مثل صحف أبي بكر رضي الله عنه، إذ أنهم كانوا يكتبون المنسوخ، وما ثبت برواية الآحاد، وبعض التفسيرات.

٣. جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه

لما كان عهد عثمان رضي الله عنه، وتفرق الصحابة رضي الله عنهم في البلدان، وحمل كل منهم من القراءات ما سمعه من رسول الله ﷺ، وقد يكون عند أحدهم من القراءات ما ليس عند غيره، واختلف الناس في القراءات، وصار كل قارئ ينتصر لقراءته، ويخطِّئ قراءة غيره، وعظم الأمر واشتد الخلاف، فعن أنس رضي الله عنه: "**أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي**

الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إلى حَفْصَةَ، أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إلى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إلى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إلى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ"[1]، كما روي: "فَاخْتَلَفُوا يَوْمَئِذٍ فِي التَّابُوتِ وَالتَّابُوهِ، فَقَالَ الْقُرَشِيُّونَ: التَّابُوتُ، وَقَالَ زَيْدٌ: التَّابُوهُ، فَرُفِعَ اخْتِلَافُهُمْ إِلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: اكْتُبُوهُ التَّابُوتُ فَإِنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ"[2].

وأرسل سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى كل مصر من الأمصار المشهورة بمصحف؛ ليجتمع الناس في القراءة عليه، ثم رَدَّ الصُحُف إلى حفصة رضي الله عنها، فلما توفيت أرسل مروان بن الحكم إلى أخيها عبد الله بن عمر عقب انصرافه من جنازتها أن يرسل إليه هذه الصحف، فأرسلها إليه، فأمر بها مروان فحرقها، وقال: "إِنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا لِأَنَّ مَا فِيهَا قَدْ كُتِبَ وَحُفِظَ بِالْمُصْحَفِ، فَخَشِيتُ إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَرْتَابَ فِي شَأْنِ هَذِهِ الصُّحُفِ مُرْتَابٌ أَوْ يَقُولَ: إِنَّهُ كَانَ شَيْءٌ مِنْهَا لَمْ يُكْتَبْ"[3].

السبب الباعث على جمع عثمان:

السبب هو رفع الاختلاف والتنازع في القرآن، وقطع المراء فيه، وذلك بجمع الناس على

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٨٧).

[2] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٣١٠٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ حَدِيثُ الزُّهْرِيِّ، وَلَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِهِ.

[3] أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١٠٢/١)، وصححه ابن كثير رحمه الله في فضائل القرآن (٨٥).

القراءة بحرف واحد وهو لغة قريش، وأما قبله فكانت الصحف مكتوبة بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن وما تحتمله من القراءات.

ويقول الحارث المحاسبي: "**الْمَشْهُورُ عِنْدَ النَّاسِ أَنَّ جَامِعَ الْقُرْآنِ عُثْمَانَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِنَّمَا حَمَلَ عُثْمَانُ النَّاسَ عَلَى الْقِرَاءَةِ بِوَجْهٍ وَاحِدٍ عَلَى اخْتِيَارٍ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ شَهِدَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَمَّا خَشِيَ الْفِتْنَةَ عِنْدَ اخْتِلَافِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ فِي حُرُوفِ الْقِرَاءَاتِ فَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَتِ الْمَصَاحِفُ بِوُجُوهٍ مِنَ الْقِرَاءَاتِ الْمُطْلَقَاتِ عَلَى الحروف السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ فَأَمَّا السَّابِقُ إلى الْجَمْعِ مِنَ الْحَمْلَةِ فَهُوَ الصِّدِّيقُ وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ: لَوْ وَلِيتُ لَعَمِلْتُ بِالْمَصَاحِفِ عمل عثمان بها**"[1].

<u>**وقد امتاز الجمع في عهد عثمان بما يأتي:**</u>

١. الاقتصار فيه على حرف واحد، وهو حرف قريش.

٢. الاقتصار فيه على ما ثبت بالتواتر، وما استقر عليه الأمر في العرضة الأخيرة، ولم يكتبوا ما ثبت بطريق الآحاد، ولا منسوخ التلاوة.

٣. ترتيب آياته وسوره على الوجه المعروف اليوم.

٤. تجريده من النقط، والشكل، ومن كل ما ليس بقرآن، بخلاف ما كان مكتوبا عند بعض الصحابة ﷺ، فقد كان فيه بعض تأويلات وتفسيرات لبعض ألفاظه.

وقد اختلف في عدد المصاحف التي كتبت في عهد عثمان ﷺ، فقيل: ستة، وقيل: سبعة، وقيل: أربعة، والمقصود أن سيدنا عثمان ﷺ أرسل بمصحف إلى كل مصر من الأمصار الإسلامية المشهورة؛ ليكون مرجعا يرجع إليه عند الاختلاف، واتخذها قراء الأمصار معتمد اختياراتهم، وما وجد بين هؤلاء القراء السبع من الاختلاف في حروف يزيدها بعضهم وينقصها بعضهم؛ فذلك لأن كلا منهم اعتمد على ما بلغه في مصحفه

---

[1] الإتقان في علوم القرآن (٢١١/١)، للسيوطي رحمه الله.

ورواه، إذ كان عثمان كتب هذه المواضع في بعض النسخ ولم يكتبها في بعض؛ إشعارا بأن كل ذلك صحيح وأن القراءة بكل منها جائزة.

ولما كان المعول عليه في تلقي القرآن هو الأخذ بالرواية، والمشافهة، لا على المكتوب في المصاحف، فقد أمر أو أرسل سيدنا عثمان مع هذه المصاحف من يقرئ المسلمين بما فيها، فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدني، وبعث عبد الله بن السائب مع المكي، والمغيرة بن شهاب المخزومي مع الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي، وعامر بن عبد القيس مع البصري، وهكذا، وقد أجمع أهل كل مِصْر على ما في مصحفهم وترك ما عداه، وبذلك زال الخلاف بين القراء، وتوحدت كلمة الأمة.

السبب في تعدد المصاحف:

هو أن عثمان والصحابة ﭫ قصدوا كتابة المصاحف على ما وقع عليه الإجماع ونقل متواترا عن النبي ﷺ من القراءات، فعدّدوا المصاحف لتكون مشتملة على جميع القراءات المتواترة، واختلاف المصاحف له حالتان:

١. أن تحتمل صورة اللفظ خطا للقراءتين المختلفتين أو القراءات؛ وفي هذه الحالة يكتب اللفظ في جميع المصاحف بصورة واحدة تحتملها، ذلك مثل: ﴿ **نُنشِزُهَا** ﴾ بالزاي، و"**ننشرها**" بالراء، ومن المعروف أن المصاحف كانت مجردة من الشكل والنقط.

٢. أن لا تكون صورة اللفظ خطا محتملة للقراءات المختلفة؛ وحينئذ تكتب في بعض المصاحف بصورة وفي بعضها بصورة أخرى، مثل: ﴿ **وَوَصَّىٰ** ﴾ و"**وأوصى**" من قوله تعالى: ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ** ﴾[البقرة: ١٣٢]، فإنها في مصحف أهل المدينة "**وأوصى**"، وفي مصحف أهل العراق (وَوَصَّى)، ومثل: ﴿ **تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ** ﴾ [التوبة: ١٠٠]، و﴿ **تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ** ﴾[التوبة: ٧٢] في سورة التوبة، إلى غير ذلك، فإنها

كتبت في بعض المصاحف بلفظ، وفي بعضها بلفظ آخر، وإنما لم تكتب مكررة في مصحف واحد؛ لئلا يتوهم إنها نزلت هكذا مكررة، ولم تكتب إحداهما في الأصل والأخرى في الحاشية؛ لئلا يتوهم إنها تصحيح لها.

إنما جردت المصاحف من النقط والشكل:

١. لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: **"جَرِّدُوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَلْبِسُوا بِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ"**[1]، يعني من كل شيء إلا القرآن.

٢. لتحتمل الكلمة التي تكتب بصورة واحدة أكثر من وجه مما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ من وجوه القراءات، كما بينا آنفا.

تنبيه:

يقول صاحب مناهل العرفان رحمه الله: "**وليس بين أيدينا دليل قاطع على وجود المصاحف العثمانية الآن فضلا عن تعيين أمكنتها، وقصارى ما علمناه أخيرا أن ابن الجزري رأى في زمانه مصحف أهل الشام، ورأى في مصر مصحفا أيضا**"[2].

وعدم بقاء المصاحف العثمانية قاطبة لا يضرنا شيئا ما دام المعول عليه هو النقل والتلقي ثقة عن ثقة، وإماما عن إمام، إلى النبي ﷺ، وذلك متواتر مستفيض على أكمل وجه في القرآن الآن.

من العلماء من يجعل المصحف الإمام خاصا بالمصحف الذي احتفظ به عثمان رضي الله عنه لنفسه، ومنهم من جعل المصحف الإمام عاما لجميع المصاحف التي كتبت بأمر عثمان رضي الله عنه ووزعها على الأمصار.

---

[1] أخرجه ابن أبي شيبة رحمه الله في مصنفه (٨٥٤٧)، قال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد (١٦١/٧): رجاله رجال الصحيح غير أبي الزعراء.

[2] مناهل العرفان في علوم القرآن (٤٠٤/١)، للزرقاني رحمه الله.

تابع المبحث السابع

الشبه التي أوردت على جمع القرآن

سبب هذه الشبه:

١. الحقد الدفين لأعداء الدين. **٢**. الروايات الضعيفة الواهية.

٣. روايات باطلة أوردتها الشيعة.

٤. روايات صحيحة، ولكن لها محامل صحيحة، وأعداء الدين تعاموا عنها وصرفوها إلى المحامل التي ترضي أحقادهم.

الشبهة الأولى:

كيف يكون جمع القرآن عن إجماع الصحابة وقد روي: **"أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَرِهَ لِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ نَسْخَ الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُعْزَلُ عَنْ نَسْخِ كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ وَيَتَوَلَّاهَا رَجُلٌ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْلَمْتُ وَإِنَّهُ لَفِي صُلْبِ رَجُلٍ كَافِرٍ"**[١].

الجواب:

إن قول ابن مسعود رضي الله عنه هذا لا يدل على عدم جواز جمع القرآن في المصحف، ولا على أنه كان مخالفًا في الجمع، وكل ما يدل عليه: أنه يرى أنه أحق من زيد بجمع القرآن؛ لسوابقه في الإسلام، مع أنه لما سكت عنه الغضب أدرك حسن اختيار عثمان ومَن معه من الصحابة رضي الله عنه لزيد، فقد روي: **"أن عبد الله** رضي الله عنه **استحيا مما قال، فقال: ما أنا بخيرهم، ثم نزل عن المنبر"**، وكان اختيار أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما لزيد رضي الله عنه لمزايا فيه، وهي: أنه شاب؛ والشباب يقتضي القوة والصبر، وكذلك هو عاقل، وأمين، وكان يكتب الوحي في عهد النبي ﷺ، وأنه كان قد شهد العرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام كذلك قد ضم إليه عثمان رضي الله عنه ثلاثة من أوثق الصحابة.

---

[١] رواه الترمذي رحمه الله في سننه (٣١٠٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه الألباني رحمه الله في **صحيح سنن الترمذي** (٣١٠٤).

الشبهة الثانية:

كيف يكون القرآن كله متواترًا مع أن زيد بن ثابت ﷺ قال في عهد أبي بكر ﷺ: "**إِنَّكَ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاتَّبِعِ الْقُرْآنَ، فَتَتَبَّعْتُ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ**"[1]، وقال في أثناء ذكره لكتابة المصاحف في عهد عثمان ﷺ: "**فَقَدْتُ آيَةً مِنْ الْأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا، فَالْتَمَسْنَاهَا فَوَجَدْنَاهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ**"[2]؟

الجواب:

إن الاعتماد في جمع القرآن كان على الحفظ، والكتابة، والتواتر إنما هو في الحفظ لا في الكتابة، يدل على ذلك قول زيد رضي الله عنه: "**فَقَدْتُ آيَةً مِنْ الْأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا**"، فهو كان حافظًا لها، ومثله الحفظة من الصحابة رضي الله عنهم، فإن قيل: كيف لم يجد هذه الآية في صحف أبي بكر رضي الله عنه؟ فالجواب: لعلها انمحت، وتطاير مدادها، أو لعل الأرضة أكلت موضعها، على أن المعول عليه في القرآن التواتر الحفظي لا الكتابي.

الشبهة الثالثة:

أن القرآن قد زِيدَ فيه ما ليس منه، بدليل ما ورد أن عبد الله بن مسعود: "**كَانَ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنَ الْمَصَاحِفِ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُتَعَوَّذَ بِهِمَا، وَلَمْ يَكُنْ يَقْرَأُ بِهِمَا**"[3].

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٩٨٩).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٠٤٩).

[3] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (٩١٥٢)، قال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد (١٥٢/٧): ورجاله ثقات.

الجواب:

هذه الروايات غير صحيحة، وأغلب الظن أنها مدسوسة على ابن مسعود، قال الإمام النووي رحمه الله: "**أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَالْفَاتِحَةَ، وَسَائِرَ السُّوَرِ الْمَكْتُوبَةِ فِي الْمُصْحَفِ قُرْآنٌ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْهُ كَفَرَ، وَمَا نُقِلَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي الْفَاتِحَةِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ بَاطِلٌ لَيْسَ بِصَحِيحٍ، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي أَوَّلِ** كتابه "**المجاز**": "**هَذَا كَذِبٌ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْضُوعٌ، وَإِنَّمَا صَحَّ عَنْهُ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ ابن مسعود، وفيها الفاتحة والمعوذتان**"[1].

وعلى فرض صحة الروايات يجاب بما يلي:

١. عدم كتابتها لا يستلزم إنكار كونها من القرآن؛ لجواز أنه كان لا يكتبها اعتمادًا على حفظ الناس لهما لا إنكارًا لقرآنيتهما، وقد ذهب ابن مسعود رضي الله عنه إلى: "**أَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا كُتِبَ وَجُمِعَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ مَخَافَةَ الشَّكِّ وَالنِّسْيَانِ وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ وَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ مَأْمُونٌ فِي سُورَةِ الْحَمْدُ لِقِصَرِهَا وَوُجُوبِ تَعَلُّمِهَا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ**"[2].

٢. أنها رواية آحادية، وظنُّ ابن مسعود رضي الله عنه أنها ليست من القرآن لا يعارض التواتر القطعي.

٣. قد يكون ذلك قبل أن يستيقن أنها من القرآن، وليس أدل على ذلك أن الذين ترجع قراءتهم لابن مسعود رضي الله عنه متفقون على أن هذه السور من القرآن.

الشبهة الرابعة:

أن القرآن نقص منه ما كان بعض الصحابة يكتبه، يدل على ذلك ما روي عن أُبَيِّ بن كعب: أنه كان يكتب في مصحفه سورتي الخلع، والحقد، ودعاء القنوت: "**إِنَّا نَسْتَعِينُكَ،**

[1] المجموع شرح المهذب (٣/٣٩٦)، للإمام النووي رحمه الله.

[2] الإتقان في علوم القرآن (١/٢٧٢)، للسيوطي رحمه الله.

وَنَسْتَهْدِيكَ"[1].

الجواب:

هناك قاعدتان في رد كل رواية تفيد زيادة شيء في القرآن، ونقص شيء منه:

١. كل رواية آحادية لا تقبل في إثبات شيء من القرآن.

٢. كل رواية تخالف المتواتر من القرآن لا تقبل.

والجواب عن رواية أبي بن كعب رضي الله عنه :

١. كتابة أبي رضي الله عنه في مصحفه لهذا الدعاء لا يدل على القرآنية؛ لأن مصاحف الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن قاصرة على المتواتر، بل كان بعضها مشتملا على الآحاد، والمنسوخ تلاوة، وعلى بعض التفسيرات، والأدعية، ولا يشك ذو نظر فاحص أن هذا الدعاء ليس عليه مسحة من سحر القرآن.

٢. هي رواية أحادية لا تعارض القطعي الثابت بالتواتر.

الشبهة الخامسة:

عن بعض الشيعة والملاحدة، وخلاصته: أن عثمان وأبا بكر حرفا القرآن، وأسقطا كثيرا من آياته، وقالوا: "إن القرآن الذي نزل به جبريل كان سبع عشرة ألف آية، وأن سورة الأحزاب كانت مثل سورة الأنعام، وسورة الولاية أسقطت بكاملها، إلى غير ذلك من الأباطيل.

الجواب:

١. هذه دعاوى لم تقم عليها دليل ولا شبه دليل.

٢. أن العقلاء من الشيعة أنكروا ذلك، كما قال الطبرسي في مجمع البيان: **"فأما الزيادة فيه فمُجْمَع على بطلانه، وأما النقصان منه، فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييرًا ونقصانًا، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه"**[2].

---

[1] الاستذكار (٢/٢٩٥)، لابن عبد البر القرطبي رحمه الله.

[2] التفسير والمفسرون (٢/٧٧)، للشيخ محمد السيد حسين الذهبي رحمه الله.

٣. لقد صار الأمر لمدة خمس سنوات إلى سيدنا علي رضي الله عنه وآل البيت، فكيف سكت على ذلك ومصاحف عثمان رضي الله عنه تتلى؟!

الشبهة السادسة:

أن القرآن قد أسقط منه ما هو منه، وزيد فيه ما ليس منه، وأيد ذلك بالآتي:

١. ما ورد في الحديث: (**سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ قَارِئًا يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا**)[1].

٢. ما جاء في سورة الأعلى ﴿ **سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦** ﴾[الأعلى: ٦]، وزعم المفتري أن النبي ﷺ أُنسي آيات ولم يذكره أحد.

٣. أن الصحابة قد حذفوا من القرآن ما رأوه مصلحة في حذفه، ومثلوا بذلك: آية المتعة أسقطها عليّ.

٤. أن كثيرًا من آياته لم يكن لها من قيد سوى تحفظ الصحابة، وكانت مكتوبة على العظام بلا قيد، وضاع بعضها، مما جعل علماء المسلمين يقولون: توجد آيات نسخت لفظًا لا حكمًا.

٥. الحجاج بن يوسف أعدم مصاحف عثمان، وكتب ستة مصاحف وجه بها إلى الأمصار؛ نصرة لبني أمية.

٦. زعموا أن آية ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ** ﴾[آل عمران: ١٤٤] من كلام أبي بكر قالها يوم السقيفة، وآية﴿ **وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى** ﴾[البقرة: ١٢٥] من كلام عمر.

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٠٤٢)، ومسلم رحمه الله في صحيحه (٧٨٨).

الجواب:

بالنظر في هذه الدعاوى نجد أنها عارية عن الدليل:

١. ما ذكره من الحديث فهو صحيح، ورواية أنسيتها تفسير للرواية الأولى تدل على أن الإسقاط عن طريق النسيان، لا العمد، ولا يضر نسيان النبي ﷺ طالما يحدث له التذكر إما من نفسه، أو من مذكر؛ لأن نسيانه ﷺ إما عارض سريع الزوال، ودليل ذلك قوله تعالى﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾** ﴾ [الحجر: ٩]، وإما أن يكون داخلًا في قوله تعالى ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** ﴾[البقرة: ١٠٦]؛ أي أن الله رفعه من قلبه لإرادة النسخ.

٢. ما استدل به أن النبي ﷺ نسي شيئا من القرآن، واستدل بالآية ﴿ **سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ** ﴾، فسبب نزول الآية: أن النبي ﷺ كان يتذكر القرآن في نفسه مخافة النسيان، فأزال الله خوفه بهذه الآية، والاستثناء في قوله ﴿ **إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ** ﴾[الأعلى: ٧]، فالمراد إلا ما شاء الله أن ينسيه لنبيه ﷺ -يريد النسخ-، أو يكون الاستثناء غير حقيقي -يراد به عدم النسيان- بتعليق شيء على المستحيل؛ لأن الله ضمن له أن لا ينسى، لقوله تعالى: ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾** ﴾[القيامة: ١٦ – ١٧].

٣. ما زعمه من أن الصحابة ﷺ أسقطوا ما رأوا المصلحة في إسقاطه تجنٍ على الصحابة ﷺ، وعلى الحق، وعلى الواقع -وهذا زعم الجاهل-، وقد مرّ عناية الصحابة ﷺ بالقرآن، حتى أنه امتزج بلحمهم ودمهم، أما ما قاله عن آية المتعة؛ فلم يأت بدليل، ولا ندري أي متعة يقصد، لو يقصد نكاح المتعة فهي في سورة النساء ﴿ **فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً** ﴾[النساء: ٢٤]، وأُحِل نكاح المتعة للضرورة، ثم نسخ إلى يوم

القيامة، وإن كان يقصد متعة الحج؛ فالآية في سورة البقرة ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

٤. أما الزعم بأن بعض القرآن ضاع لموت كثير من الحفظة، أو ضياع بعض ما كان يكتب عليه، فهذا زعم باطل لأن الحُفاظ كانوا كثيرين، بدليل قول عمر لأبي بكر رضي الله عنهما: **"وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ"**[١]، وأما ضياع بعض ما كان يكتب عليه، فمردود، فهذا احتمال بعيد إذ كانوا رضي الله عنهم يحافظون على المكتوب غاية الحفظ، ومع ذلك لا يضرنا ضياع شيء من المكتوب عليه؛ إذ أن المعول عليه هو الحفظ.

٥. أما دعاوى أن الحَجَّاج زاد في القرآن، وأنقص منه، فإنها دعوى لا وجود لها إلا في خيال صاحبها، إذ لم ينقل ذلك في أي تاريخ من التواريخ، وكيف يفعل ذلك ولا يرتفع صوت معارض له من العلماء الذين كانوا لا يخافون لومة لائم؟! ولو أنهم سكتوا خوفا منه، فلم لم يتكلموا بعيدا عنه أو بعد موته؟!

٦. أما الزعم بأن آية ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ من كلام أبي بكر رضي الله عنه، فهذا إغراق في الجهل، والآية قد نزلت بعد أُحُد، وحفظها كثير من الصحابة رضي الله عنهم، وأما قوله: وآية ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ من كلام عمر رضي الله عنه، فهذا أيضًا جهل وضلال؛ إذ المروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال بصيغة التمني: **"يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى؟ فَنَزَلَتْ ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾"**[٢]، وكون أن القرآن يوافق اجتهاد عمر رضي الله عنه لا يدل على أنه من كلام عمر رضي الله عنه، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

---

[١] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٦٧٩).

[٢] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٠٢) بلفظ قريب.

الشبهة السابعة:

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "**كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ**"[1]، وقالوا: والقرآن اليوم ليس فيه ما يدل على خمس رضعات، فتكون الآية الدالة قد سقطت.

الجواب:

١. هذه الرواية مهما صحت فهي آحادية، لا يثبت بها قرآن، قال الحافظ رحمه الله: "**الْقُرْآنَ لَا يَثْبُتُ إِلَّا بِالتَّوَاتُرِ، وَالرَّاوِي رَوَى هَذَا عَلَى أَنَّهُ قُرْآنٌ، لَا خَبَرٌ، فَلَمْ يَثْبُتْ كَوْنُهُ قُرْآنًا**"[2]، ومما يدل على أنه ليس قرآنًا، وأنه كان تشريعا ثابتا بالسنة ثم نسخ بالسنة: اختلاف الرواية عنها في القدر الْمُحَرِّم، فهذا يدل على أنه كان اجتهادا منها استندت فيه على ما ظهر لها من السنة، ولو كان قرآنا لما نقل عنها كل هذا الاختلاف، أما قولها رضي الله عنها "**كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ**"؛ أي فيما أنزل من شرح القرآن وبيانه.

٢. ويمكن أن يحمل الحديث على أنه كان قرآنًا، ثم نسخ لفظه وبقي حكمه، والنسخ لم يقع إلا قُبَيل موت النبي ﷺ، ولم يدر بعض الصحابة رضي الله عنهم به فكانوا يتلونه، ظانين أنه غير منسوخ.

الشبهة الثامنة:

ما روي عن ابن عباس أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "**لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ، إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ**"[3]، وفي رواية أخرى نحو ذلك، وفي آخرها قال ابن عباس : "**فَلَا أَدْرِي مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ أَمْ**

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٤٥٢).

[2] فتح الباري لابن حجر رحمه الله.

[3] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٤٣٦)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٠٥٠).

لَا؟"[1]، وقال أبي: "كُنَّا نَرَى هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾"[2]، وروى مثل هذا عن أبي موسى الأشعري، يقول صاحب الشبهة: فظاهر هذا الروايات أنها قرآن، ولكن غير موجودة في المصاحف.

الجواب:

١. القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وغاية ما تدل عليه أنها من كلام النبي ﷺ، وبعض الروايات صحت بذلك، وأما الروايات التي فيها إبهام أن ذلك قرآن جاءت على صيغة الشك، وإذا كان الجزم في هذا لا يثبت قرآنا، فما بالك بالشك؟

٢. والوجه الثاني أن يقال: أن هذا كان قرآنًا ثم نسخت تلاوته لما أنزل الله ألهاكم التكاثر.

٣. والوجه الثالث أن هذا من قبيل الأحاديث القدسية؛ لأن بعض الروايات وردت بقوله: "إن الله يقول"، ويشهد لهذا الوجه أن أسلوبه ومعناه يشبه أسلوب الأحاديث القدسية.

الشبهة التاسعة:

قول عمر رضي الله عنه: **"إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ فِيمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، وَرَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَمْنَا مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ الزَّمَانُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَالرَّجْمُ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِذَا كَانَ مُحْصَنًا إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ حَمْلٌ، أَوِ اعْتِرَافٌ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْلَا أَنْ يَقُولَ النَّاسُ زَادَ عُمَرُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عز وجل لَكَتَبْتُهَا"**[3] وروايات أخرى تدل على ذلك، قال صاحب الشبهة: فهذه الروايات تدل على أن القرآن سقطت منه هذه الآية.

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٤٣٧)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٠٤٩).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٤٣٩).

[3] رواه البخاري رحمه الله (٦٨٢٩)، ورواه مسلم رحمه الله (١٦٩١)، ورواه أبو داود رحمه الله بهذا اللفظ في سننه، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٤٤١٨)، وفي رواية الشيخين رحمهما الله: "**وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ**".

الجواب:

١. هذه الروايات آحادية، لا يثبت بها قرآن، وغاية ما تدل عليه أنها أحاديث رسول الله ﷺ، أما قول عمر رضي الله عنه: "**فَكَانَ فِيمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ**"، فإن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن والسنة، وقوله: "**فَقَرَأْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا**"، فالمراد نرويها عن رسول الله ﷺ، وقوله: "**وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ**"؛ أي في شرع الله، ودليل هذا التأويل قول عمر: "**لَوْلَا أَنْ يَقُولَ النَّاسُ زَادَ عُمَرُ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَكَتَبْتُ آيَةَ الرَّجْمِ**"؛ إذ لا يقال زاد لما عرف أنه منه، وقال عليّ رضي الله عنه حين جلد شراحة ثم رجمها: "**جَلَدْتُهَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَرَجَمْتُهَا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ**"[1].

٢. أن هذه الآية كانت قرآنًا، ثم نسخ لفظها وبقي حكمها، وهذا الجواب يتم بعد تسليم قرآنيتها.

ملحوظة:

وأثيرت شبه مثل ما مضى، والرد:

١. إما أن تكون الأحاديث باطلة.

٢. ولو فرضنا صحتها تكون قرآنا منسوخا.

٣. وبعض هذه الروايات محمول على التفسير.

رد عام على كل الشبه:

المسلمون أجمعوا على أن هذا الذي كتب في المصاحف وحفظه الألوف عن الألوف هو القرآن الذي أنزله رب العالمين على نبيه ﷺ لا زيادة ولا نقصان، فمن ادعى زيادة أو نقصانًا، فقد أبطل الإجماع -ولا يمكن لأحد إبطاله-.

كذلك من زعم أن القرآن زِيدَ فيه أو نقص، فهو مثل: من يزعم أن الصلوات الخمس كانت عشرا، فأنقصها المسلمون إلى خمس، أو كانت ثلاثا فصيروها خمسا، كذلك أن الله

---

[1] أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (٩٤٢)، وصححه الألباني رحمه الله في **إرواء الغليل** (٢٣٤٠)، وشطره الثاني رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٨١٢).

ﷻ وعد بحفظه ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ ﴾[فصلت: ٤٢].

فسوف يبقى القرآن شامخًا صلبًا حتى يرث الله الأرض ومن عليها

المبحث الثامن

ترتيب آيات القرآن وسوره

الآية:

لغـــةً: العلامـــة، لقولـــه تعـــالى ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[البقرة: ٢٤٨]؛ أي علامـة ملكـه، وتـأتي أيضًـا بمعـنى الـدليل، والعبرة، والمعجزة.

واصطلاحًا: جزء من السورة، لها مبدأ ونهاية، وآخرها يسمى فاصلة (كلمة تكون آخر الآية).

والمناسبة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي واضح؛ لأن الآية علامة على نفسها بانفصالها عما قبلها وبعدها، ولأن فيها عِبَرًا ودلائل، وبانضمامها إلى غيرها تكون معجزة دالة على صدق رسول الله ﷺ.

- وأكثر الآيات الطوال في السور الطوال.
- وأكثر الآيات القصار في السور القصار.
- وأطول آية هي آية الدين في سورة البقرة.
- وأقصر آية، آية ﴿طه ١﴾ و﴿يس ١﴾ عند من عدها آية.
- وقد تكون الآية من كلمة واحدة ﴿مُدْهَامَّتَانِ ٦٤﴾ بسورة الرحمن.
- وقد يطلق اسم الآية ويراد بعضها.
- وقد يطلق اسم الآية ويراد أكثر.

فوائد معرفة الآيات وعددها وفواصلها

١. لأن الوقف على رؤوس الآي سنة.

٢. أنه يعين على صحة الصلاة؛ لأن الإجماع انعقد على أن الصلاة لا تصح بنصف آية، وقال جَمْعٌ من العلماء: "لا تجزئ آية"، وقال آخرون بأكثر من ذلك.

٣. إن الإعجاز لا يقع بأقل من ثلاث آيات قصار، أو آية طويلة.

٤ . اعتبارها في قراءة قيام الليل؛ للحديث الدال على أنه كلما ازداد المصلي في القيام بعدد أكثر من الآيات فأجره يزيد[١].

عدد آيات القرآن:

"أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ عَدَدَ آيَاتِ الْقُرْآنِ يَبْلُغُ سِتَّةَ آلَافِ آيَةٍ، وَاخْتَلَفُوا فِيمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ، فَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَزِدْ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: وَمِائَتَيْنِ وَأَرْبَعِ، وَقِيلَ: وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَقِيلَ وَتِسْعَ عَشْرَةَ، وَقِيلَ: وَخَمْسًا وَعِشْرِينَ، وَقِيلَ: وَسِتًّا وَثَلَاثِينَ، وَقيل: وستمِائَة وَسِتَّة عَشْرَةَ"[٢].

ويرجع سبب الخلاف أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا عُلِم محلها وصل للتمام، فيحسب السامع حينئذٍ أنها ليست فاصلة.

ولمعرفة الفواصل طريقان:

١. التوقيفي. **٢**. القياسي.

أما التوقيفي: فما ثبت أن النبي ﷺ وقف عليه: تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائما: تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة، ووصله أخرى: احتمل الوقف: أن يكون لتعريف الفاصلة، أو لتعريف الوقف التام، أو للاستراحة، واحتمل الوصل: أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها.

وأما القياسي: فهو ما ألحق من غير المنصوص عليه بالمنصوص عليه لأمر يقتضي ذلك، ولا محذور في ذلك؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته أنه محل فصل، أو وصل، والوقف على كل كلمة جائز.

---

[١] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (١٣٩٨)، وصححه الألباني رحمه الله في **صحيح أبي داود** (١٣٩٨).

[٢] التحرير والتنوير في تفسير القرآن (٧٧/١)، لابن عاشور رحمه الله.

معرفة الآيات:

قال الزمخشري: "**فإن قلت: ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض؟ قلت: هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور**"[1].

كلمات القرآن وحروفه:

عدد الكلمات قيل: ٧٧٩٣٤ كلمة، وقيل: ٧٧٤٣٧ كلمة، وقيل: ٧٧٢٧٧ كلمة، وسبب الاختلاف أن الكلمة لها: حقيقة، ومجاز، ولفظ، ورسم، واعتبار كل منهما جائز.

كذلك عنوا بعدد الحروف، وبيان أنصاف القرآن بالكلمات، والحروف، وأثلاثه، وأرباعه، وأخماسه.

يقول السيوطي رحمه الله: "**وَالِاشْتِغَالُ بِاسْتِيعَابِ ذَلِكَ مِمَّا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ**"[2].

ترتيب الآيات:

ترتيب الآيات في سورها توقيفي، فقد كان جبريل عليه السلام يوقف النبي ﷺ على مواضع الآيات من سورها، وكان رسول الله ﷺ يقول: "**ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا**"[3].

يقول ابن الحصار رحمه الله: "**تَرْتِيبُ السُّوَرِ وَوَضْعُ الْآيَاتِ مَوَاضِعَهَا إِنَّمَا كَانَ بِالْوَحْيِ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ضَعُوا آيَةَ كَذَا فِي مَوْضِعِ كَذَا**[4]**، وَقَدْ حَصَلَ الْيَقِينُ مِنَ النَّقْلِ الْمُتَوَاتِرِ بِهَذَا التَّرْتِيبِ مِنْ تِلَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِمَّا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى وَضْعِهِ هَكَذَا في المصحف**"[5].

---

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣١/١)، للزمخشري رحمه الله.

[2] الإتقان في علوم القرآن (٢٤٢/١)، للسيوطي رحمه الله.

[3] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٧٨٦)، وحسنه الحافظ ابن حجر رحمه الله في موافقة الخبر الخبر (٤٤/١)، وضعفه الألباني رحمه الله في ضعيف أبي داود رحمه الله (٧٨٦).

[4] انظر الهامش رقم ٣ في هذه الصفحة.

[5] الإتقان في علوم القرآن (٢١٦/١)، للسيوطي رحمه الله.

يقول الإمام مالك: "**إِنَّمَا أُلِّفَ الْقُرْآنُ عَلَى مَا كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ**"[1].

وفي الأثر عن محمد بن سيرين قال: "**فَقُلْتُ لِعِكْرِمَةَ: أَلِّفُوهُ كَمَا أُنْزِلَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، قَالَ: لَوِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يؤلفوه ذلك التَّأْلِيفَ مَا اسْتَطَاعُوا**"[2].

وصدق عكرمة، فإن ترتيبه على حسب النزول غير مستطاع لأحد من البشر؛ لأن الله لم يُرِد أن يكون تأليف كتابه المعجز على حسب النزول، وإنما اقتضت حكمته أن يكون حسب المناسبات البلاغية وأسرار الإعجاز.

السور وترتيبها:

السورة قيل: أخذت من سور المدينة؛ لإحاطتها بآياتها، ولأنها ضمت آياتها بعضها إلى بعض، كما أن السور توضع لبناته بعضا فوق بعض.

واصطلاحًا: طائفة من آيات القرآن، جمعت وضم بعضها إلى بعض، حتى بلغت في الطول والمقدار الذي أراده الله سبحانه.

ومعرفة سور القرآن كلها توقيفي، وأطول سورة: (البقرة)، وأقصرها: (الكوثر).

وعلامة ابتداء السورة: نزول (بسم الله الرحمن الرحيم)، فعن ابن عباس قال: "**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَعْرِفُ خَتْمَ السُّورَةِ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**"[3]، وفى رواية: "**فَإِذَا نَزَلَتْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَلِمُوا أَنَّ السُّورَةَ قَدِ انْقَضَتْ**"[4].

ويجوز أن تقول: سورة البقرة، سورة آل عمران، عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال: "**هَذَا مَقَامُ الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**"[5]، وما روي عن كراهة ذلك فضعيف وقيل موضوع.

---

[1] الإتقان في علوم القرآن (٢١٥/١)، للسيوطي رحمه الله.

[2] فضائل القرآن (٣٥/١)، محمد بن الضريس رحمه الله.

[3] أخرجه أبو داود رحمه الله في المراسيل (٣٦)، وقال الألباني رحمه الله في **أصل صفة الصلاة** (٣١٥/١): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[4] أخرجه الحاكم رحمه الله في المستدرك (٨٤٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

[5] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٧٤٩)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٢٩٦).

الحكمة من تسوير القرآن:

١. حسن الترتيب، والتنويع، والتبويب، ولا يزال المؤلفون من قديم الزمان إلى يومنا هذا يجعلون كتبهم أبوابا وفصولًا.

٢. تسهيل الحفظ، وبعث الهمة والنشاط.

٣. أن الحافظ إذا حفظ سورة وحذقها اعتقد أنه أخذ من كتاب الله حظًا ونصيبًا، فيعظم عنده ما حفظه.

٤. أن في التسوير والتفصيل تلاحق الأشكال، والملائمة، فسورة يوسف تتكلم عن قصة يوسف عليه السلام، وسورة النساء تتكلم عما لهن وما عليهن، وهكذا.

عدد سور القرآن:

المعول عليه هو ما في المصاحف العثمانية التي أجمع عليها الصحابة رضي الله عنهم: مائة وأربع وعشرة سورة، ولا نلتفت إلى غيرها .

أسامي السور:

قد يكون للسورة اسم واحد، وهو كثير؛ كسورة النساء، والأعراف، والأنعام، وقد يكون لها أكثر من اسم، مثل: الفاتحة، تسمى أم الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، والشافية، والكافية، والأساس، وقد عدد السيوطي خمسة وعشرين اسما لها، وسورة براءة تسمى: التوبة، والفاضحة، وعدّد السيوطي عشرة أسماء، وسورة الإسراء تسمى: سبحان، وبني إسرائيل، وسورة محمد تسمى: القتال، وغير ذلك.

أسماء السور توقيفية قال السيوطي: **"وَقَدْ ثَبَتَ جَمِيعُ أَسْمَاءِ السُّوَرِ بِالتَّوْقِيفِ"**[1] .

تقسيم السور باعتبار الطول والقصر:

١. **الطوال**: من البقرة إلى الأعراف، والسابعة قيل: الأنفال مع براءة؛ لعدم الفصل، وقيل: يونس.

---

[1] الإتقان في علوم القرآن (١/١٨٦)، للسيوطي رحمه الله.

٢. **المئون**: وهي ما تزيد آياتها عن مائة آية.

٣. **المثاني**: وهي التي تقترب من مائة آية.

٤. **المفصل**: وفيه الطوال والأواسط والقصار.

ترتيب سور القرآن:

اختلف العلماء في ترتيب السور، أهو توقيفي، أم اجتهادي، أم فيه هذا وذاك؟

قال الكرماني: "**تَرْتِيبُ السُّوَرِ هَكَذَا هُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَفِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَهُوَ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ كَانَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى جِبْرِيلَ كُلَّ سَنَةٍ مَا كَانَ يَجْتَمِعُ عِنْدَهُ مِنْهُ**"[١].

وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على ترتيب المصحف الذي كتب في عهد عثمان رضي الله عنه، ولم يخالف في ذلك أحد، حتى من كان عنده مصاحف مكتوبة على ترتيب آخر.

ومما يدل على توقيف ترتيب السور: أن الحواميم رتبت متتابعة، ولم ترتب المسبحات متتابعة، فلو كان الترتيب اجتهاديًا ما حصل الفرق.

وسواء أكان الترتيب توقيفيًا أم اجتهاديا فإنه ينبغي احترامه والأخذ به في كتابة المصاحف؛ لأنه عن إجماع الصحابة رضي الله عنهم، ولأن مخالفته تجر إلى الفتنة، ودرء الفتنة وسد الذرائع واجب.

قال النووي رحمه الله: "**قال العلماء: الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف، فيقرأ الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران، ثم ما بعدها على الترتيب، وسواء قرأ في الصلاة، أو في غيرها، حتى قال بعض أصحابنا: إذا قرأ في الركعة الأولى سورة ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾، يقرأ في الثانية بعد الفاتحة من البقرة، قال بعض أصحابنا: ويستحب إذا قرأ سورة أن يقرأ بعدها التي تليها، ودليل هذا: أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة، فينبغي أن يحافظ عليها**"[٢].

---

[١] البرهان في علوم القرآن (١/٢٥٩)، للزركشي رحمه الله.

[٢] التبيان في آداب حملة القرآن (١/٩٨)، للنووي رحمه الله.

المبحث التاسع

كتابة القرآن ورسمه

يكاد يجمع المؤرخون على أن الخط أُدْخِل إلى مكة بواسطة حرب بن أمية بن عبد شمس، وأما الخط في المدينة فقد ذكر أصحاب السير أن النبي ﷺ دخلها وكان فيها يهودي يعلم الصبيان القراءة والكتابة، وقد كان وجود الخط قبل الإسلام إرهاصا لبعثة خاتم الرسل ﷺ.

والدين الإسلامي رفع من شأن الكتابة وتعلمها، يقول تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق: ١ – ٥]، وقوله: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾ [القلم: ١].

بل إن النبي ﷺ في أسرى بدر فداهم بأن يعلم كل واحد منهم ممن يحسن القراءة والكتابة عشرة من غلمان المسلمين.

أما قوله ﷺ: "**إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ**"[1]، فهذا إخبار عما كانت عليه غالبية الأمة، ثم صار العلم والثقافة والأصيلة من أخص خصائص الأمة الإسلامية.

كتابة القرآن الكريم:

كُتِب القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ، وكان له ﷺ كُتَّابا للوحي، وقد سبق ذلك في المبحث السابع.

رسم المصحف:

المراد برسم المصحف: الوضع الذي ارتضاه عثمان ومن كان معه من الصحابة رضي الله عنهم في كتابة كلمات القرآن ورسم حروفه في المصاحف التي وجه بها إلى الآفاق.

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٩١٣)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٠٨٠).

قواعد رسم المصحف:

الأصل في المكتوب أن يكون موافقا للمنطوق من غير زيادة، ولا نقص، ولا تغيير، ولا تبديل، مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه، وقد خالف ذلك في بعض الحروف خط المصحف الإمام، مثل:

الحذف: حذف الألف من ياء النداء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، وكحذف الواو إذا وقعت مع واو أخرى، نحو: قوله تعالى ﴿ لَا يَسْتَوُۥنَ ﴾.

الزيادة: مثل زيادة الألف بعد آخر اسم مجموع، مثل: ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾، وزيادة الياء في نحو: ﴿ نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

الهمز: فقد رسمت في القرآن في نحو: ﴿ تَفْتَؤُاْ ﴾، ﴿ لَا تَظْمَؤُاْ ﴾.

البدل: كتب في رسم الألف واوا للتفخيم أو التهويل: ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، ﴿ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾، ﴿ ٱلْحَيَوٰةِ ﴾.

الفصل والوصل: فجاء في الرسم تارة موصولا وتارة مفصولا، مثل: وصل أَلَّا بفتح الهمزة وتشديد اللام، وفصلها في عشرة مواضع، منها: ﴿ أَن لَّا يَقُولُواْ ﴾ في الأعراف، ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ ﴾ في هود ويس، ووصل مِمَّا إلا في: ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾ في النساء والروم، و﴿ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ في المنافقين، ووصل كلما، إلا: ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ ﴾، و﴿ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ ﴾ ، ووصل أَمَّنْ، إلا: ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ في النساء، ﴿ أَم مَّنْ أَسَّسَ ﴾ في التوبة، ﴿ أَم مَّنْ خَلَقْنَآۚ ﴾ في الصافات، ﴿ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا ﴾ في فصلت، وإِمَّا بكسر الهمزة والتشديد، إلا: ﴿ وَإِن مَّا

﴿ نُرِيَنَّكَ ﴾ في الرعد، وأنما بفتح الهمزة مطلقا، إلى غير ذلك مما جاء في الرسم تارة موصولا وتارة مفصولا، مثل: ﴿ إِنَّمَا ﴾، و﴿ فَإِن لَّمْ ﴾ بالفتح والكسر، و﴿ أَن لَّن ﴾، و﴿ أَيْنَ مَا ﴾، و﴿ كَيْ لَا ﴾، و﴿ فِي مَآ ﴾.

ما فيه قراءتان: كتب على إحداهما، مثل: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾، ﴿ يُخَٰدِعُونَ ﴾، ﴿ فَرِهَٰنٌ ﴾، ﴿ غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾، فقد كتبت موصولة لا غير، وقد قرئت بالوصل والفصل، و﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾، ﴿ بَصْۜطَةً ﴾، ﴿ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ﴾، ﴿ بِمُصَيْطِرٍ ﴾، فقد كتبت بالصاد لا غير، وقد قرئت بالصاد والسين؛ وذلك لأن الأصل في هذه الألفاظ كتابتها بالسين على ما هي اللغة الغالبة، ولكنها كتبت في المصاحف العثمانية بالصاد لتتعادل القراءتان؛ القراءة التي يشهد لها الرسم، والقراءة التي يشهد لها الأصل.

رسم المصحف توقيفي أم اصطلاحي؟

ذهب جمهور العلماء إلى أن رسم المصحف العثماني توقيفي لا تجوز مخالفته، واستدلوا بما يأتي:

١. أن القرآن الكريم كتب كله بين يدي رسول الله ﷺ، وكان يملي على كُتّاب الوحي، ويرشدهم في كتابته بوحي من جبريل.

٢. إطباق القراء على إثبات الياء في ﴿ وَٱخْشَوْنِي ﴾ في البقرة، وحذفها في الموضعين في المائدة، وغير ذلك مما خولف بين نظائر مختلفة بالحذف والإثبات، فلو كان الرسم بالاجتهاد ما خولف فيه بين هذه النظائر والمتشابهات، وقد تكون في آيتين متتاليتين، كقوله تعالى: ﴿ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحاقة: ١٩ – ٢٠]، فقد كتبت كتابيه بغير ألف، وكتبت حسابيه بألف والكلمتان سواء.

٣. توفي الرسول ﷺ وجمع القرآن في الصحف، وأجمع الصحابة رضي الله عنهم على رسمه لا سيما الخلفاء الراشدون، ولم يخالف في ذلك أحد، وإجماعهم حجة.

وقد قال ﷺ: **"عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"**[١].

وسئل الإمام مالك رحمه الله: **"هَلْ يُكْتَبُ الْمُصْحَفُ عَلَى مَا أَحْدَثَهُ النَّاسُ مِنَ الْهِجَاءِ؟ فَقَالَ: لَا إِلَّا عَلَى الْكَتْبَةِ الْأُولَى"**[٢].

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"تَحْرُمُ مُخَالَفَةُ خَطِّ مُصْحَفِ عُثْمَانَ فِي يَاءٍ، أَوْ وَاوٍ، أَوْ أَلِفٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ"**[٣].

وفي كتاب المحيط البرهاني في فقه الحنفية: "إنه ينبغي ألا يكتب المصحف بغير الرسم العثماني".

الرأى الثاني هو لابن خلدون رحمه الله:

أن رسم المصحف اصطلاحي لا توقيفي، وكان باصطلاح من الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهم كانوا حديثي عهد بالكتابة، وكانوا مغرقين في البداوة.

الرد عليه:

- إنهم بعد الإسلام قد خطوا في الحضارة العلمية والكتابية خطوات ملموسة، وذلك لما بينا من أن الإسلام دين العلم والمعرفة، وأنه دعا إلى إزالة الأمية من أول يوم، وأما متابعة من جاء بعد الصحابة رضي الله عنهم لهم في رسم المصحف تبركا بهم، فلم يكن التبرك هو المعول عليه في هذا العصر، وإنما كان ديدنهم أن ما وافق الحق والصواب قبلوه، وما خالف الحق والصواب نبذوه.

---

[١] أخرجه ابن ماجه رحمه الله في سننه (٤٢)، وصححه الألباني رحمه الله في تخريج كتاب السنة (٥٨).

[٢] **المقنع في رسم مصاحف الأمصار** (٤٤٤)، لأبي عمرو الداني رحمه الله.

[٣] **مختصر التبيين لهجاء التنزيل** (١/٢١٠)، لسليمان بن نجاح رحمه الله.

ولعل مما يستحسن ذكره في هذا المقام لنفاسته وكفايته في الرد على القائلين بالاجتهاد: ماذكره العلامة ابن المبارك نقلا عن شيخه العارف بالله الشيخ عبد العزيز الدباغ، إذ يقول في كتابه (الذهب الإبريز) ما معناه: "رسم القرآن سر من أسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة، قال ابن المبارك: فقلت له: هل رسم الواو في: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ﴾، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾، ﴿ أُوْلَآءِ ﴾، ﴿ أُوْلَٰتِ ﴾، وكالياء في نحو: ﴿ هُدَىٰهُمُ ﴾، ﴿ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾، ﴿ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾، ﴿ بِأَييِّكُمُ ﴾، هذا كله صادر عن النبي ﷺ أو من الصحابة؟ قال: هو صادر من النبي ﷺ، وهو الذي أمر الكتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة، فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوه من النبي ﷺ، وقال: ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبي ﷺ، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول، وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن معجز، فرسمه أيضا معجز، وأن سائر الأمة من الصحابة وغيرهم أجمعوا على أنه لا يجوز زيادة حرف في القرآن ولا نقصان حرف منه، وما بين الدفتين كلام الله ﷻ، فإذا كان النبي ﷺ أثبت ألف ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾و﴿ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ مثلا، ولم يزد الألف في﴿ مِاْئَةَ ﴾، ولا في﴿ وَلَأَاْوْضَعُواْ ﴾، ولا الياء ﴿ بِأَيْيْدٍ ﴾، ونحو ذلك والصحابة عاكسوه في ذلك وخالفوه، لزم أنهم –وحاشاهم من ذلك– تصرفوا في القرآن بالزيادة والنقصان.

فوائد الرسم العثماني:

١. **اتصال السند بالقرآن الكريم**، فلا يجوز لأحد أن يقرأه أو يُقرئه غيره إلا بروايته بسند متصل، وليس من شك في أن الرسم المخصوص له أعظم الأثر في اتصال السند، إذ لو كانت جميع ألفاظه مكتوبة طبق النطق به لتجرأ الكثيرون على قراءته بغير رواية عن غيره،

وحينئذٍ يفوتهم معرفة ما فيه من طرق الأداء.

٢. **الدلالة على أصل الحركة،** ككتابة الكسرة ياء والضمة واوا، نحو: ﴿ **وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ** ﴾ و﴿ **سَأُوْرِيكُمْ** ﴾، أو **الدلالة على أصل الحرف:** ككتابة: ﴿ **ٱلصَّلَوٰةَ** ﴾، و﴿ **ٱلزَّكَوٰةَ** ﴾، و﴿ **ٱلْحَيَوٰةُ** ﴾، و﴿ **ٱلرِّبَوٰاْ** ﴾ بالواو بدل الألف.

٣. **الدلالة على بعض اللغات الفصيحة:** ككتابة هاء التأنيث تاء في لغة طيء، ومثل: حذف آخر المضارع على المعتل لغير جازم مثل ﴿ **يَوْمَ يَأْتِ** ﴾ في لغة هذيل.

٤. **الدلالة على معنى خفي دقيق:** كزيادة الياء في قوله ﴿ **بِأَيْيْدٍ** ﴾ بياءين، وذلك للإيماء إلى قدرة الخالق جل وعلا التي بنى بها السماء، وأنها لا تشبهها قوة على حد القاعدة المشهورة: (**زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى**)، وكزيادة الألف في ﴿ **وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾، ﴿ **وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ** ﴾ للتهويل، والتفخيم، والوعيد، والتهديد.

ومن هذا القبيل كتابة هذه الأفعال بغير واو: ﴿ **وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ** ﴾، ﴿ **وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ** ﴾، ﴿ **يَدْعُ ٱلدَّاعِ** ﴾ ﴿ **سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ** ﴾، فإنها كتبت في المصاحف العثمانية بغير واو، ولذلك سر دقيق لمن أمعن النظر، فالسر في حذفها –كما قال المراكشي-: التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل.

الشبه التي أثيرت حول كتابة القرآن ورسمه

الشبهة الأولى:

قالوا روي عن عثمان رضي الله عنه أنه حين عرض عليه المصحف، قال: "أحسنتم وأجملتم، **إِنَّ فِي الْقُرْآنِ لَحْنًا سَتُقِيمُهُ الْعَرَبُ بِأَلْسِنَتِهَا**"[1]، وفي رواية: "**وَجَدَ فِيهَا حُرُوفًا مِنَ اللَّحْنِ،**

[1] مناهل العرفان (٣٨٦/١)، للزرقاني رحمه الله.

فَقَالَ: لَا تُغَيِّرُوهَا فَإِنَّ الْعَرَبَ سَتُغَيِّرُهَا"[1].

الجواب:

١. إن هاتين الروايتين ضعيفتا الإسناد، وإن فيهما اضطرابا وانقطاعا يذهب بالثقة بهما، وعكرمة لم يسمع من عثمان رضي الله عنه أصلا، وقد رد الأولى جماعة من العلماء كالإمام أبي بكر الباقلاني، والحافظ أبي عمرو الداني وأبي القاسم الشاطبي والجعبري، كذلك قوله: "أحسنتم وأجملتم" مدح وثناء، وقوله: "إن فيه لحنا" يشعر بالتقصير والاضطراب، فكيف يصح في العقول ذلك؟!

٢. إن هذين الأثرين يخالفان ما كان عليه عثمان رضي الله عنه من حفظه القرآن، وملازمة قراءته، ومدارسته، وقد اختلفوا في التابوت أيكتبونه بالتاء أم بالهاء؟ ورفعوا الأمر إليه، فأمرهم أن يكتبوه بالتاء، فإذا كان هذا شأنه وشأنهم في حرف لا يتغير به المعنى، فكيف يعقل منه أن يرى في المصاحف لحنا ثم يقرهم عليه؟!

٣. ولو جوزنا فرضا أن عثمان تساهل في إصلاح هذا، أفيدعه جمهور المسلمين من المهاجرين والأنصار دون أن يصححوه؟!

٤. على فرض صحة هذين الأثرين، فيمكن أن يؤولها بما يتفق هو والصحيح المعروف عن عثمان رضي الله عنه في جمع القرآن، ونسخ المصاحف، وذلك بأن يحمل لفظ لحنا على معنى اللغة، ويكون المعنى أن في رسم القرآن وكتابته في المصاحف وجها في القراءة لا تلين به ألسنة العرب جميعا الآن، ولكنها لا تلبث أن تلين به ألسنتهم جميعا بالمرانة، وكثرة تلاوة القرآن بهذا الوجه.

الشبهة الثانية:

قالوا إن سعيد بن جبير كان يقرأ ﴿ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ ﴾، ويقول: هو من لحن الكتاب.

---

[1] فضائل القرآن (٢٨٧/١)، للقاسم بن سلام رحمه الله.

الجواب:

إن هذه الرواية إن صحت، فابن جبير لم يرد اللحن الخطأ، وإنما أراد اللغة، وهو أحد معاني اللحن، كما في القاموس وغيره من كتب اللغة، ولو كان يريد باللحن الخطأ، ما قرأ به، وكيف يقرأ بحرف يرى أنه خطأ؟ وقد قرئت هذه الكلمة بقراءتين سبعيتين، قرأ الجمهور بالنصب، وقرأ غير الجمهور بالرفع: "والمقيمون الصلاة"، أما الرفع فظاهر، إذ هو معطوف على ما قبله، وأما النصب فوجهه النصب على المدح لبيان فضل الصلاة؛ أي أمدح المقيمين الصلاة.

قال الزمخشري عند تفسير هذه الآية: "**ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب، وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان**".

الشبهة الثالثة:

قالوا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ "إن الكتاب أخطأ، إنما هو: تستأذنوا"، فهذا يدل على أن القرآن دخله بعض التحريف والتبديل بسبب الكتابة.

الجواب:

١. إن هذا القول غير صحيح في نسبته إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وهو مدسوس عليه، دسه الملاحدة والزنادقة، قال أبو حيان ما نصه: "**إن من روى عن ابن عباس أنه قال ذلك فهو طاعن في الإسلام ملحد في الدين**"[1]، وقال القرطبي في تفسيره: "**وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ، فَإِنَّ مَصَاحِفَ الْإِسْلَامِ كُلَّهَا قَدْ ثَبَتَ فِيهَا ﴿حَتَّىٰ**

[1] البحر المحيط في التفسير (٨/٣٠)، لأبي حيان الأندلسي رحمه الله.

﴿تَسْتَأْنِسُواْ﴾، وَصَحَّ الْإِجْمَاعُ فِيهَا مِنْ لَدُنْ مُدَّةِ عُثْمَانَ"[1].

٢. ويؤيد رد هذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه ورد عنه تفسير ﴿تَسْتَأْنِسُواْ﴾ بقوله: "**وتستأذنوا من يملك الإذن من أصحابها**"[2]، فثبوت هذا التفسير عنه يرد ما ألصق به.

٣. وأيضا فالقراءة المتواترة الثابتة ﴿تَسْتَأْنِسُواْ﴾ متمكنة في باب الإعجاز من القراءة المزعومة تستأذنوا، فالاستئذان: ينصرف إلى الاستئذان بالقول، وأما الاستئناس: فيشمل القول وغيره من الأفعال التي تؤذن بالقدوم كالتسبيح، والتحميد، والتنحنح، وما شابه ذلك، قال ابن أشته في كتاب المصاحف: "مراد ابن عباس الخطأ في الاختيار، وترك ما هو أولى القراءتين بحسب ظنه".

٤. إن هذه الرواية على فرض صحتها رواية آحادية، والآحادي لا يعارض القطعي الثابت بالتواتر.

– وساقوا شُبَهًا كثيرة من آثار ضعيفة موضوعة، وقد تصدى لها العلماء، وبينوا ضعفها، وبينوا كذلك أنها مع فرض صحتها فإنما روايات آحادية لا يثبت بها قرآن، وإنما تخالف القطعي، ومخالف القطعي مردود.

– وكذلك ساقوا شبها لجهلهم بلغات العرب، وبالقراءات، وأوجه النحو، وقد تصدى لذلك أيضا العلماء المسلمون، وبينوا أن القرآن هو كتاب العربية الأكبر، ومرجع العرب الأوثق في معرفة أساليب العرب في البيان.

الشبهة الرابعة:

قالوا: كيف اعتمدتم المصحف وفيه من الخطأ الظاهر، ومثلوا لذلك بما يأتي: قوله تعالى:

﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ﴾

---

[1] تفسير القرطبي رحمه الله (١٢/٢١٤).

[2] تفسير أبي السعود رحمه الله (٦/١٦٨).

[البقرة: ١٧٧]، والظاهر: "والصابرون"، وقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾[المنافقون: ١٠]، والظاهر أن يقول: "وأكون".

الجواب:

١. أما قوله "والصابرين" فهو منصوب على المدح، يعني وأمدح الصابرين، وإنما غاير في الأسلوب ولم يأت على نسق ما سبقه تبيانا لفضيلة الصبر، وبيان منزلته في البر، وغير خفي ما لتغير الأسلوب والتفنن في الخطاب من أثر جليل من الناحية النفسية؛ لأنه يجذب الانتباه ويوقظ الشعور.

٢. وأما قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾، ففيها قراءتان سبعيتان الأولى: "وأكون" بالنصب، وبها قرأ أبو عمرو ووجهها ظاهر، والثانية ﴿وَأَكُن﴾ بالجزم، وتخرج على أنها عطف على المعنى، فإن الكلام في معنى الشرط، فكأنه سبحانه قال:"إن أخرتني إلى أجل قريب أصدق وأكن"، وهذا النوع يسميه النحويون العطف على التوهم، وهو باب معروف في العربية.

شكل القرآن

الشكل: هو ما يدل على عوارض الحرف من حركة وسكون، سواء أكان ذلك في أول الكلمة، أو وسطها، أو آخرها.

وقد اتفق المؤرخون على أن العرب في عهدهم الأول لم يكونوا يعرفون الشكل بمعناه الاصطلاحي، بل كانوا ينطقون بالألفاظ مضبوطة مشكولة بحسب سليقتهم وفطرتهم العربية من غير لحن، ولذا لما كتبت المصاحف في العهد الأول جردت من الشكل والنقط اعتمادا على هذه السليقة، وعلى أن المعول عليه في القرآن هو التلقي والرواية، فلما اتسعت رقعة الإسلام واختلط العرب بالعجم فسدت الفطرة العربية، وقد حدث أن سمع أبو الأسود الدؤلي قارئا يقرأ: "إن الله بريء من المشركين ورسولِه" بجر رسوله، فأفزعه ذلك، وقال: عز

وجه الله أن يبرأ من رسوله، وذهب إلى زياد والي البصرة، وقال له: قد أجبتك إلى ما سألت[1]، وكان زياد قد سأله أن يضع للناس علامات تدل على الحركات والسكنات، فجعل للفتحة نقطة فوق الحرف، وللكسرة نقطة أسفله، وللضمة نقطة بين الحرف، وللتنوين نقطتين، وسار الناس على النهج مدة، ثم بدؤوا يزيدون ويبتكرون، ثم وضعوا للشكل علامات أخرى وهي العلامات المعروفة اليوم.

إعجام القرآن

الإعجام: هو ما يدل على ذوات الحروف، وتمييز الحروف المتماثلة في الرسم بعضها عن بعض.

لم تكن المصاحف منقوطة في مبدأ الأمر؛ لأن الاعتماد لم يكن على القراءة من المصحف، بل كان على التلقن والسماع، ولتبقى صورة الكلمة الواحدة في الخط صالحة لكل ما صح وثبت من وجوه القراءات، واشتدت الحاجة إلى الإعجام حينما اتسعت رقعة الإسلام، واختلط العرب بالعجم، وبدأ اللبس والإشكال في قراءة المصاحف، فاهتم عبد الملك بن مروان بذلك، وأمر الحجاج أن يُعنى بهذا الأمر الجليل، فاختار الحجاج له رجلين من خيرة المسلمين: نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني، فوضعا النقط من واحدة إلى ثلاث للحروف المتشابهة، وكان في هذا توفيق عظيم للأمة.

ما استحدث في كتابة المصاحف:

وأما ما استحدث في كتابة المصاحف من التحزيب، والتجزئة، والتخميس، والتعشير، وكتابة فواتح السور، وخواتمها، ونحو ذلك، فكل ذلك مما زيد لغرض التيسير على القارئ، ولكن ليس له من الأهمية ما للشكل والنقط، وقد جزأ العلماء القرآن تجزئات شتى: منها التجزئة إلى ثلاثين جزءا، ثم جزؤوا كل واحد من هذه الأجزاء الثلاثين إلى جزئين، وقد أطلقوا على

---

[1] المحكم في نقط المصاحف (٣/١)، لأبي عمرو الداني رحمه الله.

كل واحد منها اسم الحزب، وجعلوا الجزء ثمانية أرباع، والحزب أربعة أرباع.

حكم نقط المصحف وشكله وما شابه ذلك:

كان العلماء في الصدر الأول يرون كراهة نقط المصحف، وشكله، ونحوهما، مبالغة منهم في المحافظة على القرآن من التزيد، ولكن الحال قد تغيرت عما كان في العهد الأول، فاضطر المسلمون إلى نقطه، وشكله؛ للمحافظة على القرآن من اللحن، والتغيير، والتصحيف، وبعد أن كانوا يكرهون ذلك، صار واجبا أو مستحبا.

قال الإمام النووي في التبيان ما نصه: قال العلماء: "**ويستحب نقط المصحف وشكله، فإنه صيانة من اللحن فيه، وتصحيفه، وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط، فإنما كرهاه في ذلك الزمان؛ خوفا من التغيير فيه، وقد أمن ذلك اليوم**"[١].

احترام المصحف:

لا يكاد التاريخ الصادق يعرف كتابا أحيط بهالة من التقديس والتكريم مثل ما عرف ذلك للقرآن الكريم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن السفر به إلى أرض العدو إذا خيف وقوع المصحف في أيديهم[٢]، وقد أفتى العلماء بكفر من مزقه، أو أهانه، أو رمى به في قاذورة، وبحرمة من باعه لكافر ولو ذميا، وأوجبوا الطهارة لمسه وحمله، بل قالوا لكل ما يتصل به من خريطة، ومن غلاف، وصندوق على الصحيح، كما استحبوا تعظيمه، والقيام له، قال الإمام النووى: "**ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قدم به عليه؛ لأن القيام مستحب للفضلاء من العلماء، والأخيار، فالمصحف أولى**"[٣]، ويجب على من عنده مصاحف أو أوراق منها غير صالحة للقراءة: أن يصونها عن مواطئ الأقدام، وعن عبث الصبيان، وعليه أن يحرقها، أو يدفنها في الأرض بعيدا عن مواطئ الأقدام والقاذورات.

---

[١] التبيان في آداب حملة القرآن (١/١٨٩)، للنووي رحمه الله.

[٢] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٩٩٠)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٨٦٩).

[٣] التبيان في آداب حملة القرآن (١/١٩١)، للنووي رحمه الله.

المبحث العاشر

ثبوت النص القرآني

بالتواتر المفيد للقطع واليقين

لم يعرف التاريخ في عمره الطويل كتابا أحيط بسياجات من العناية والرعاية مثل ما عرف ذلك للقرآن الكريم ، فقد حفظه النبي ﷺ، وكان حريصا على ذلك، وكان جبريل عليه السلام يعارضه القرآن مرة كل سنة، حتى جاء العام الذي توفي فيه فعارضه القرآن مرتين.

ومن خصائص هذا الكتاب السماوي: الحفظ عن ظهر قلب، بحيث يحفظه العدد الكثير وينقله إلى الكثير، فيثبت بهم التواتر المفيد للقطع واليقين ، بخلاف التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وموسى، وغيرها مما أنزله الله تبارك وتعالى، فلم تكلَّف أممها بحفظها عن ظهر قلب، بل ترك ذلك للاختيار.

الحكمة في تكليف الأمة بحفظ القرآن:

والسر في أن الله سبحانه وتعالى كلف الأمة المحمدية بحفظ القرآن العظيم، ولم يكلف الأمم السابقة بحفظ كتبها وصحفها: أن هذه الكتب لم تكن معجزة بألفاظها، ولم يشأ الله ذلك لحكمة يعلمها، بخلاف القرآن الكريم فقد شاء الله سبحانه –وله الحكمة البالغة– أن يكون معجزا بلفظه فضلا عن معانيه، فكان من الضروري المحافظة على النص بالطريق المفيدة للقطع واليقين.

الأدلة على وجوب حفظ القرآن على الأمة:

١. قال النبي ﷺ: **"إِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: أَنْ قُمْ فِي قُرَيْشٍ فَأَنْذِرْهُمْ، فَقُلْت: أَيْ رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي –أَيْ يَشْدَخُوا–، فَقَالَ: إِنِّي مُبْتَلِيك، وَمُبْتَلٍ بِك، وَمُنْزِلٌ عَلَيْك كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا ويقظانا، فَابْعَثْ جُنْدًا أَبْعَثْ مِثْلَيْهِمْ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَك مَنْ**

عَصَاك، وَأَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْك"[1]، فقد أخبر سبحانه وتعالى أن القرآن لا يكفي في ثبوته وحفظه بصحيفة، أو لوح يغسل بالماء، وإنما محله القلوب والصدور.

٢. وما ورد في وصف الأمة الإسلامية أن أناجيلهم في صدورهم: أي كتابهم المقدس.

٣. وقصة الصحابي الذي أراد أن يتزوج المرأة التي عرضت نفسها على النبي ﷺ، ولم يكن له بها حاجة، ولم يكن هذا الصحابي يملك شيئا ليكون مهرا لها، فقال له النبي ﷺ: **"مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا -عَدَّهَا-، قَالَ: أَتَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اذْهَبْ فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ"**[2]، وهذا الحديث وإن لم يدل على الوجوب، ولكنه يدل على أن الحفظ عن ظهر قلب أمر مرغوب فيه، ومستحب، وفضيلة من الفضائل التي يختص بها المسلمون، وسار الصحابة ﷺ على هذا النهج العظيم، فحفظوا القرآن، واهتموا به، ووضعوه في منزلة عالية.

العوامل المساعدة على حفظ القرآن

١. التعبد بالقرآن الكريم في الصلاة وخارجها:

وقد اتفق الفقهاء قاطبة على أن الصلاة سواء أكانت فرضا أم نفلا، جماعة أو غيرها، لا تصح إلا بالقرآن، فقد كان قيام الليل واجبا في صدر الإسلام على النبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١ – ٥]، وقد كان النبي ﷺ والصحابة ﷺ ملازمين للقيام وقراءة القرآن حتى بعد التخفيف.

٢. الترغيب في قراءة القرآن وحفظه:

وقد ورد عن النبي ﷺ ما لا يحصى من الأحاديث في الترغيب في قراءة القرآن، وتلاوته كما

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه بلفظ قريب (٢٨٦٥)، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١٣/٤٠٠).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٠٣٠).

ينبغي، وحفظه، والوصاية به، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"**[1]، والاشتغال به خير من الاشتغال بصلاة النوافل؛ عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ: **"يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ"**[2]، وقال رسول الله ﷺ: **"يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا"**[3].

وقارئ القرآن له بكل حرف حسنة، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"**[4].

٣. الأمر بتعهد القرآن والتحذير من نسيانه:

عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **"تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا"**[5]، **والتفصي**: التفلت، **والعقال**: حبل يشد به وسط ذراع الإبل، وضرب المثال بالإبل؛ لأنها أشد الحيوانات نفورا، يصعب استرجاعها بعد شرودها.

وقد اعتبر كثير من السلف نسيان القرآن كبيرة من الكبائر لما قدمنا من الأحاديث وغيرها.

وعن الضحاك بن مزاحم قال: **"مَا مِنْ أَحَدٍ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ**

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٠٢٧).

[2] أخرجه ابن ماجه رحمه الله في سننه (٢١٩)، وقال المنذري رحمه الله في **الترغيب والترهيب** (٢/٣٠٤): إسناده حسن.

[3] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (١٤٦٤)، وصححه الألباني رحمه الله في **صحيح الجامع** (٨١٢٢).

[4] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٢٩١٠)، وصححه الألباني رحمه الله في **صحيح الترغيب** (١٤١٦).

[5] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٠٣٣).

﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]، وَنِسْيَانُ الْقُرْآنِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ"[1]، وقال أبو العالية: "كُنَّا نَعُدُّ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ: أَنْ يَتَعَلَّمَ الرَّجُلُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَنَامُ عَنْهُ، حَتَّى يَنْسَاهُ"[2].

٤. ارتباط بعض الوظائف الدينية والدنيوية بحفظ القرآن:

الإمامة في الصلاة -بجميع أنواعها- من المناصب الدينية الهامة، وقد كان حفظ القرآن، واستظهاره، وإجادته، والعلم به، والتفقه فيه المرشح الأول لهذا المنصب الديني الخطير.

كذلك كان حفظ القرآن وفقهه من الأسباب المرشحة لتولي الإمامة العظمى، كالصديق أبي بكر رضي الله عنه، والولاية، والقضاء، وقيادة السرايا، والجيوش كأبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

٥. تفرغ الصحابة ومن بعدهم لحفظ القرآن وضبطه:

وقد تفرغ لحفظ القرآن والتفقه فيه أناس في عهد النبي ﷺ، هم أهل الصفة، وهم أضياف الله، وأضياف الإسلام، كانوا يحتطبون بالنهار، ويقومون الليل، ويقرؤون القرآن، ويحفظونه، ويتدارسونه، ويعلمونه غيرهم.

٦. التفرغ للقرآن بعد عصر الصحابة:

ثم تفرغ لحفظ القرآن وإقرائه كثير من التابعين بالأمصار الإسلامية، فمنهم: من كان **بالمدينة**: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبد الله بن عمر، و عمر بن عبد العزيز، وغيرهم، وكان **بمكة**: عبيد بن عمير، وعطاء بن أبي رباح، وطاووس بن كيسان، وغيرهم، وكان **بالكوفة**: علقمة، والأسود، ومسروق بن الأجدع، وغيرهم، **وبالبصرة**: أبو العالية، وأبو رجاء، ونصر بن عاصم، وغيرهم، **وبالشام**: المغيرة ابن أبي شهاب المخزومي، صاحب عثمان رضي الله عنه، وغيرهم.

---

[1] الزهد والرقائق، لابن المبارك، والزهد لنعيم بن حماد (١/٢٨).

[2] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (٨/٧٠٤): موقوف وإسناده جيد.

واشتهر من هؤلاء في الآفاق الأئمة السبعة:

- **نافع:** قد أخذ عن سبعين من التابعين، منهم: أبو جعفر، وابن كثير، وأخذ عن عبد الله ابن السائب رضي الله عنه الصحابي.

- **ابن عامر:** وأخذ عن أبي الدرداء رضي الله عنه الصحابي الجليل، وأصحاب عثمان رضي الله عنه.

- **عاصم:** وأخذ عن كثير من التابعين.

- **حمزة:** وأخذ عن عاصم، والأعمش، والسبيعي، ومنصور بن المعتمر، وغيرهم.

- **الكسائي:** وأخذ عن حمزة وأبي بكر بن عياش.

- وكذلك: **ابن كثير**، **وأبو عمرو**، والأئمة العشرة تزيد على السبعة: **خلف**، **يعقوب**، **وأبو جعفر**.

٧. اشتهار العرب بقوة الحافظة وسيلان الأذهان وصفاء الفطرة:

وقد أعانهم على هذا ذكاء العقول، وصفاء النفوس، وسلامة الفطرة، وقلة شواغل الحياة وتكاليفها.

٨. القرآن هو أصل الدين ومنبع الصراط المستقيم:

﴿ **وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٢]، إن هذا الكتاب العظيم أحق ما يفنى فيه الشباب، وأجدر ما تنفق فيه الأعمار، فلا تعجب إذا كان المسلمون حفظوه غاية الحفظ.

٩. إعجاز القرآن وسحر بيانه وعجائب أسلوبه و حلاوة كلامه:

والعرب كانوا أرباب الفصاحة والبلاغة، وفرسان البيان، فمن ثَمَّ كانت المعجزة العظمى للنبي القرآن الكريم، وكان العربي تستهويه الكلمة الفصيحة، ويكاد يخر ساجدا للكلام البليغ.

وهذا هو الوليد بن المغيرة، قال عن القرآن: "**فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالشعرِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزِهِ، وَلَا بِقَصِيدِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ**

هَذَا، وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وإنَّه لمنيرٌ أعلاه، مشرقٌ أسفلُه، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى عليه، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ"[1].

١٠. تيسير الوسائل لحفظه في المساجد والكتاتيب والبيوت وغيرها:

فهذا المسجد الحرام، وهذا المسجد النبوي، ومئات غيرهما في العهد النبوي، ثم ألوف وألوف فيما بعد ذلك كانت عامرة بتلاوة القرآن، وبقراء القرآن المجيدين له، يتورعون عن أخذ الأجرة على تعليمه، ويرون في قيامهم بالإقراء –حسبة لله– منزلة ليس فوقها منزلة، ثم أنشئت الكتاتيب بعد ذلك وكثرت كثرة خارجة عن الحصر، حتى لا تجد مِصرا أو بلدا إلا وفيه كتاب وكتاتيب.

ملحوظة:

قال الإمام السيوطى في الإتقان: **"الِاقْتِبَاسُ تَضْمِينُ الشِّعْرِ أَوِ النَّثْرِ بَعْضَ الْقُرْآنِ لَا عَلَى أَنَّهُ مِنْهُ بِأَلَّا يُقَالَ فِيهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَنَحْوُهُ فَإِنَّ ذَلِكَ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ اقْتِبَاسًا، وَقَدْ تَعَرَّضَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ فَسُئِلَ عَنْهُ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ ابن عَبْدِ السَّلَامِ فَأَجَازَهُ وَاسْتَدَلَّ لَهُ بِمَا وَرَدَ عَنْهُ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا: وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ... إِلَى آخِرِهِ، الشَّرَفُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْمُقْرِئِ: "الِاقْتِبَاسُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: مَقْبُولٌ، وَمُبَاحٌ، وَمَرْدُودٌ، فَالْأَوَّلُ: مَا كَانَ فِي الْخُطَبِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْعُهُودِ، وَالثَّانِي: مَا كَانَ فِي الْقَوْلِ وَالرَّسَائِلِ وَالْقِصَصِ، وَالثَّالِثُ: عَلَى ضَرْبَيْنِ أَحَدُهُمَا مَا نَسَبَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ –وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ يَنْقُلُهُ إِلَى نَفْسِهِ–، كَمَا قِيلَ عَنْ أَحَدِ بَنِي مَرْوَانَ: أَنَّهُ وَقَّعَ عَلَى مُطَالَعَةٍ فِيهَا شِكَايَةُ عُمَّالِهِ: "إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ"، وَالْآخَرُ تَضْمِينُ آيَةٍ فِي مَعْنَى هَزْلٍ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، قلت (السيوطي): وَهَذَا التَّقْسِيمُ حَسَنٌ جِدًّا وَبِهِ أَقُولُ، وَذَكَرَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ بْنُ السُّبْكِيِّ فِي طَبَقَاتِهِ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ أَبِي مَنْصُورٍ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ**

---

[1] أخرجه الحاكم رحمه الله في المستدرك بمعناه، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وبلفظ مقارب قال السيوطي رحمه الله في لباب النقول (٣١٩): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

الطَّاهِرِ التَّمِيمِيِّ الْبَغْدَادِيِّ مِنْ كِبَارِ الشَّافِعِيَّةِ وَأَجِلَّائِهِمْ أَنَّ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلَهُ:

يَا من عدا ثُمَّ اعْتَدَى ثُمَّ اقْتَرَفْ ... ثُمَّ انْتَهَى ثُمَّ ارْعَوَى ثُمَّ اعْتَرَفْ

أَبْشِرْ بِقَوْلِ اللَّهِ فِي آيَاتِهِ: ... إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفْ"[1].

مسائل في آداب تلاوة القرآن

١. قراءة القرآن من أفضل القربات إلى الله، وأعظمها بركة، وأجلها نفعا، والقرآن الكريم هو الكتاب المتعبد بتلاوته، ويستحب الإكثار من قراءته؛ لأنه يرقق القلوب، ويشرح الصدور، ويزيل الهموم، ويكشف الغموم، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **"لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ، آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، ..."**[2] وقد كان للسلف في قدر القراءة عادات، فأكثر ما ورد في كثرة القراءة من كان يختم في اليوم والليلة ثمان ختمات، ويليه من كان يختم في اليوم والليلة أربعا، ويليه ثلاثا، ويليه ختمتين، ويليه ختمة، ويلى ذلك من كان يختم في ليلتين، ويليه من كان يختم في كل ثلاث، ويليه من ختم في أربع، ثم في خمس، ثم في ست، ثم في سبع، وهذا أوسط الأمور وأحسنها. ويعجبني في هذا ما قاله الإمام النووي رحمه الله: **"وَالِاخْتِيَارُ أَنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ، فَمَنْ كَانَ لَهُ بِدَقِيقِ الْفِكْرِ لَطَائِفُ وَمَعَارِفُ، فَلْيَقْتَصِرْ عَلَى قَدْرٍ يُحَصِّلُ لَهُ كَمَالَ فَهْمِ مَا يَقْرَؤُهُ، وَكَذَا مَنْ كَانَ مَشْغُولًا بِنَشْرِ الْعِلْمِ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ مُهِمَّاتِ الدِّينِ وَمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ الْعَامَّةِ، فَلْيَقْتَصِرْ عَلَى قَدْرٍ لَا يَحْصُلُ بِسَبَبِهِ إِخْلَالٌ بِمَا هُوَ مُرْصَدٌ لَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ فَلْيَسْتَكْثِرْ مَا أَمْكَنَهُ مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ إِلَى حَدِّ الْمَلَلِ والهَذْرَمة[3]"**[4].

---

[1] بتصرف من كتاب **الإتقان في علوم القرآن** (١/٣٨٦)، للسيوطي رحمه الله.

[2] رواه البخاري رحمه الله في **خلق أفعال العباد** (١٩٦)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٨١٥).

[3] الهَذْرَمة: الإسراع إلى حد عدم تبيين مخارج الحروف، وعدم مراعاة قواعد تجويد قراءته.

[4] التبيان في آداب حملة القرآن (١/٦١)، للنووي رحمه الله.

٢. نسيانه كما قلنا سابقا كبيرة، صرح بذلك الإمام النووى في الروضة وغيرها.
٣. يستحب الوضوء لقراءة القرآن؛ لأنه أفضل الأذكار، وقد كان النبي ﷺ يكره أن يذكر الله إلا على طهر، كما ثبت في الحديث[١].
٤. تسن القراءة في مكان نظيف، وأفضله المسجد.
٥. يستحب لقارئ القرآن أن يجلس مستقبلا القبلة، متخشعا، متحليا بالسكينة والوقار، مطرقا رأسه، كما هو شأن الخاشع المتذلل بين يدي ربه، كما يسن أن يستاك؛ تعظيما للقرآن الكريم، وتطهيرا لفمه.
٦. يسن التعوذ قبل القراءة، قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨)** ﴾[النحل: ٩٨].
٧. قراءة البسملة، على القارئ أن يحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة غير براءة؛ لأن أكثر العلماء على أنها آية.
٨. هل تحتاج قراءة القرآن إلى نية؟
لا تحتاج قراءة القرآن إلى نية كسائر الأذكار إلا إذا نذرها خارج الصلاة، فلا بد من نية النذر أو الفرض.
٩. ترتيل القرآن، والترتيل: تبيين حروف القرآن عند القراءة، والتأني في أدائها؛ ليكون أدعى إلى فهم معانيها، وعن مجاهد في قوله تعالى ﴿ **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ** ﴾ [المزمل: ٤] قال مجاهد: "**بَعْضَهُ إِثْرَ بَعْضٍ عَلَى تُؤَدَةٍ، وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: بَيِّنْهُ بَيَانًا**"[٢]، سُئِلَ أَنَسٌ: "**كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: كَانَتْ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ، وَيَمُدُّ**

[١] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (١٧)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود رحمه الله (١٧).
[٢] **فتح الباري**، للحافظ ابن حجر رحمه الله (٨٩/٩).

بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ"[1].

١٠. تدبر القرآن وتفهمه: وتسن القراءة بالتدبر والتفهم؛ فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، قال تعالى: ﴿ **كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٩** ﴾[ص: ٢٩]، ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ٢٤** ﴾[محمد: ٢٤]، وعن حذيفة رضي الله عنه قال: **"صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا، تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ"**[2].

- ويستحب البكاء عند قراءة القرآن، والتباكي لمن لا يقدر عليه، والحزن، والخشوع، قال تعالى: ﴿ **وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ١٠٩** ﴾[الإسراء: ١٠٩].

١١. تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها: **"وَحَكَى الْمَاوَرْدِيُّ عَنِ الشَّافِعِيِّ: أَنَّ الْقِرَاءَةَ بِالْأَلْحَانِ إِذَا انْتَهَتْ إِلَى إِخْرَاجِ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ عَنْ مخارجها حرم، وَكَذَا حكى ابن حَمْدَانَ الْحَنْبَلِيُّ فِي الرِّعَايَةِ، وَقَالَ الْغَزَالِيُّ وَالْبَنْدَنِيجِيُّ وَصَاحِبُ الذَّخِيرَةِ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ: إِنْ لَمْ يُفْرِطْ فِي التَّمْطِيطِ الَّذِي يُشَوِّشُ النَّظْمَ اسْتُحِبَّ، وَإِلَّا فَلَا"**[3].

١٢. الجهر بقراءة القرآن والإسرار، أيهما أفضل؟

وردت أحاديث تقتضي استحباب رفع الصوت بالقراءة، وأحاديث تقتضي الإسرار وخفض الصوت، قال النووي: **"وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْإِخْفَاءَ أَفْضَلُ حَيْثُ خَافَ الرِّيَاءَ أَوْ تَأَذَّى مُصَلُّونَ أَوْ نِيَامٌ بِجَهْرِهِ وَالْجَهْرُ أَفْضَلُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ لِأَنَّ الْعَمَلَ فِيهِ أَكْثَرُ وَلِأَنَّ فَائِدَتَهُ**

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٠٤٦).

[2] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٧٧٢).

[3] **فتح الباري**، للحافظ ابن حجر رحمه الله (٧٢/٩).

تَتَعَدَّى إِلَى السَّامِعِينَ وَلِأَنَّهُ يُوقِظُ قَلْبَ الْقَارِئِ وَيَجْمَعُ هَمَّهُ إِلَى الْفِكْرِ وَيَصْرِفُ سَمْعَهُ إِلَيْهِ وَيَطْرُدُ النَّوْمَ وَيَزِيدُ فِي النَّشَاطِ"[1].

١٣.أيهما أفضل القراءة من المصحف أم من الحفظ؟

قال السيوطي رحمه الله: "**الْقِرَاءَةُ فِي الْمُصْحَفِ أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَاءَةِ مِنْ حِفْظِهِ لِأَنَّ النَّظَرَ فِيهِ عِبَادَةٌ مَطْلُوبَةٌ، وَحَكَى الزَّرْكَشِيُّ فِي الْبُرْهَانِ مَا بَحَثَهُ النَّوَوِيُّ قَوْلًا وَحَكَى مَعَهُ قَوْلًا ثَالِثًا: إِنَّ الْقِرَاءَةَ مِنَ الْحِفْظِ أَفْضَلُ مُطْلَقًا وَإِنَّ ابْنَ عَبْدِ السَّلَامِ اخْتَارَهُ لِأَنَّ فِيهِ مِنَ التَّدَبُّرِ مَا لَا يَحْصُلُ بِالْقِرَاءَةِ فِي الْمُصْحَفِ**"[2]، وأنا أميل إلى هذا القول وأرجحه؛ لما فيه أيضا من تثبيت المحفوظ، والتأكيد منه، وليس الأمر كذلك لو قرأ من المصحف.

١٤."**إِذَا أُرْتِجَ[3] عَلَى الْقَارِئِ فَلَمْ يَدْرِ مَا بَعْدَ الْمَوْضِعِ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ، فَسَأَلَ عَنْهُ غَيْرَهُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَأَدَّبَ بِمَا جَاءَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَالنَّخَعِيِّ وَبَشِيرِ بْنِ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالُوا: إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ عَنْ آيَةٍ فَلْيَقْرَأْ مَا قَبْلَهَا ثُمَّ يَسْكُتُ وَلَا يَقُولُ كَيْفَ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّهُ يُلَبِّسُ عَلَيْهِ**"[4].

١٥.هل يجوز قطع القراءة لمكالمة أحد؟

"**يُكْرَهُ قَطْعُ الْقِرَاءَةِ لِمُكَالَمَةِ أَحَدٍ، قَالَ الْحَلِيمِيُّ: لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْثَرَ عَلَيْهِ كَلَامُ غَيْرِهِ، وَأَيَّدَهُ الْبَيْهَقِيُّ بِمَا فِي الصَّحِيحِ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ[5]، وَيُكْرَهُ أَيْضًا الضَّحِكُ وَالْعَبَثُ وَالنَّظَرُ إِلَى مَا يُلْهِي**"[6]، فإن اضطر إلى مكالمة أحد، أو إلى أي عمل فليختم، فإذا فرغ تعوذ وبدأ من حيث انتهى.

---

[1] **الإتقان في علوم القرآن** (١/٣٧٤)، للسيوطي رحمه الله.

[2] بتصرف من كتاب **الإتقان في علوم القرآن** (١/٣٧٤)، للسيوطي رحمه الله.

[3] قال ابن منظور رحمه الله في **لسان العرب** (٢/٢٨٠): "وأُرْتِجَ عَلَى الْقَارِئِ، عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، إذا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْقِرَاءَةِ".

[4] **الإتقان في علوم القرآن** (١/٣٧٥)، للسيوطي رحمه الله.

[5] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٥٢٦).

[6] **الإتقان في علوم القرآن** (١/٣٧٧)، للسيوطي رحمه الله.

١٦. "**وَلَا يَجُوزُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالْعَجَمِيَّةِ مُطْلَقًا سَوَاءٌ أَحْسَنَ الْعَرَبِيَّةَ أَمْ لَا فِي الصَّلَاةِ أَمْ خَارِجِهَا**"[1]، وما ذكره القفال هو الحق والذي يجب أن يفتى به، فالترجمة الحرفية للقرآن غير ممكنة، أما الترجمة التفسيرية، أو إن شئت الدقة فقل: ترجمة تفسيره، فهي ممكنة وجائزة.

١٧. لا يجوز القراءة بالشاذ من القراءات، وهو ما لم يصح سنده.

١٨. الأَوْلى والأفضل أن يقرأ القارئ على ترتيب المصحف؛ لأن هذا الترتيب ارتضاه الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم، قال في شرح المهذب: "**لِأَنَّ تَرْتِيبَهُ لِحِكْمَةٍ، فَلَا يَتْرُكُهَا إِلَّا فِيمَا وَرَدَ فِيهِ الشَّرْعُ، كَصَلَاةِ صُبْحِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بألم تنزيل وهل أَتَى وَنَظَائِرِهِ، فَلَوْ فَرَّقَ السُّوَرَ أَوْ عَكَسَهَا جَازَ وَتَرَكَ الْأَفْضَلَ، قَالَ: وَأَمَّا قِرَاءَةُ السُّورَةِ مِنْ آخِرِهَا إِلَى أَوَّلِهَا فَمُتَّفَقٌ عَلَى مَنْعِهِ**"[2].

١٩. "**قَالَ الْحَلِيمِيُّ: يُسَنُّ اسْتِيفَاءُ كُلِّ حَرْفٍ أَثْبَتَهُ قَارِئٌ؛ لِيَكُونَ قَدْ أَتَى عَلَى جَمِيعِ مَا هُوَ قُرْآنٌ، وَقَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ وَالنَّوَوِيُّ: إِذَا ابْتَدَأَ بِقِرَاءَةِ أَحَدٍ مِنَ الْقُرَّاءِ، فَيَنْبَغِي أَلَّا يُزَادَ عَلَى تِلْكَ الْقِرَاءَةِ مَا دَامَ الْكَلَامُ مُرْتَبِطًا، فَإِذَا انْقَضَى ارْتِبَاطُهُ فَلَهُ أَنْ يَقْرَأَ بِقِرَاءَةٍ أُخْرَى، وَالْأَوْلَى دَوَامُهُ عَلَى الْأُولَى فِي هَذَا الْمَجْلِسِ**"[3].

٢٠. ويسن الاستماع لقراءة القرآن، وترك الكلام والحديث مع الغير، واللفظ عند القراءة، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴿٢٠٤﴾ ﴾[الأعراف: ٢٠٤]، وظاهر الأمر للوجوب، وإلى هذا ذهب بعض السلف، والعلماء والجمهور على أنه سنة وليس بواجب في غير الصلاة، وذلك لأن الآية نزلت في استماع المأموم عند قراءة الإمام.

---

[1] **الإتقان في علوم القرآن** (١/٣٧٧)، للسيوطي رحمه الله.

[2] **الإتقان في علوم القرآن** (١/٣٧٨)، للسيوطي رحمه الله.

[3] **الإتقان في علوم القرآن** (١/٣٨٠)، للسيوطي رحمه الله.

٢١. يسن السجود عند قراءة آية من آيات السجدة في القرآن الكريم، وإلى هذا ذهب الجمهور من العلماء على اختلاف بينهم في أعداد هذه الآيات، وآيات السجدة ذكرت في خمسة عشر موضعا، وهي: الأعراف، والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، والحج سجدتان، والفرقان، والنمل، والسجدة، وص، وفصلت، والنجم، والانشقاق، واقرأ باسم ربك.

٢٢. **"قَالَ النَّوَوِيُّ: "الْأَوْقَاتُ الْمُخْتَارَةُ لِلْقِرَاءَةِ أَفْضَلُهَا مَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ ثُمَّ اللَّيْلُ ثُمَّ نِصْفُهُ الْأَخِيرُ وَهِيَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ مَحْبُوبَةٌ وَأَفْضَلُ النَّهَارِ بَعْدَ الصُّبْحِ وَلَا تُكْرَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ لِمَعْنًى فِيهِ"، يُسَنُّ صَوْمُ يَوْمِ الْخَتْمِ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ[١]، وَأَنْ يَحْضُرَ أَهْلُهُ وَأَصْدِقَاؤُهُ، أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَتَمَ الْقُرْآنَ جَمَعَ أَهْلَهُ وَدَعَا[٢]، وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ، قَالَ[٣]: "أَرْسَلَ إِلَيَّ مُجَاهِدٌ، وَعِنْدَهُ ابْنُ أبي أمامة، وَقَالَا: إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ لِأَنَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْتِمَ الْقُرْآنَ، وَالدُّعَاءُ يُسْتَجَابُ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ، وَأَخْرَجَ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ، وَيَقُولُ: عِنْدَهُ تُنَزَّلُ الرَّحْمَةُ"[٤].**

٢٣. ويستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن، وهي قراءة المكيين.

٢٤. **"يُسَنُّ الدُّعَاءُ عَقِبَ الْخَتْمِ لِحَدِيثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ مَرْفُوعًا: "مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فَلَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ"[٥] [٦].**

---

[١] قال النووي رحمه الله في **التبيان** (١/١٥٨): "**روى ابن أبي داود بإسناده الصحيح** ...."، وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في كتاب بدع القراء القديمة والمعاصرة بعد أن ساق سبعة أمور منها صيام يوم الختم: "**فهذه الأمور السبعة لا يصح فيها شيء عن النبي ﷺ ولا عن صحابته ﷺ، وعامة ما يروى في بعضها مما لا تقوم به الحجة، فالصحيح: عدم شرعية شيء منها**".

[٢] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (٦٧٤)، وقال النووي رحمه الله في **التبيان** (١٩٤): إسناده صحيح.

[٣] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في **نتائج الأفكار** (٣/١٧٦): موقوف صحيح الإسناد.

[٤] بتصرف من كتاب **الإتقان في علوم القرآن** (١/٣٨١)، للسيوطي رحمه الله.

[٥] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (٦٤٧)، وضعفه الألباني رحمه الله في **ضعيف الجامع** (٥٦٦٦).

[٦] **الإتقان في علوم القرآن** (١/٣٨٤)، للسيوطي رحمه الله.

٢٥. "يُسَنُّ إِذَا فَرِغَ مِنَ الْخَتْمَةِ أَنْ يَشْرَعَ فِي أُخْرَى عَقِبَ الْخَتْمِ، لِحَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ: أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ، الَّذِي يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ إِلَى آخِرِهِ كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلَ[١]"[٢].

٢٦. "يُكْرَهُ اتِّخَاذُ الْقُرْآنِ مَعِيشَةً يُتَكَسَّبُ بِهَا"[٣]؛ أي بقراءته، أن لا يكون له عمل غيره، أو بالتسول به كما يفعل بعض الناس، وقد كان بعض السلف يكرهون أخذ الأجرة على إقراء القرآن، وتجويده، وتعليم العلم، ولكن الجمهور على جواز أخذ الأجرة على تعليم العلم، والقراءة، وسائر الوظائف الدينية: كالإمامة، والخطابة، والوعظ، والتذكير؛ لأنه لو لم يعطوا أجرا لتعطلت هذه الوظائف، ولما وجد من يقوم بها، فيدرس العلم ويندر-إن لم يعدم- العلماء وحفظة القرآن.

٢٧. "يُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَذَا بَلْ أُنْسِيتُهَا"[٤]؛ لأن الأولى تفيد التقصير في حق القرآن، بخلاف الثانية؛ فإنها لا تشعر بذلك، والأصل حديث عبد الله به مسعود رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: "**بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ**"[٥].

٢٨. اختلف العلماء في وصول ثواب قراءة القرآن للميت، قال السيوطي رحمه الله: "**الْأَئِمَّةُ الثَّلَاثَةُ عَلَى وُصُولِ ثَوَابِ الْقِرَاءَةِ لِلْمَيِّتِ وَمَذْهَبُنَا خِلَافُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾[النجم: ٣٩]**"[٦]، وكذا استدلال الإمام الشافعي بها على أن ثواب القراءة لا تلحق الأموات، وهو مذهب الإمام مالك.

---

[١] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٢٩٤٨)، وقال رحمه الله في **تهذيب التهذيب** (١١/٩٨): روي مرسلًا وهو أصح.

[٢] **الإتقان في علوم القرآن** (١/٣٨٤)، للسيوطي رحمه الله.

[٣] **الإتقان في علوم القرآن** (١/٣٨٥)، للسيوطي رحمه الله.

[٤] **الإتقان في علوم القرآن** (١/٣٨٦)، للسيوطي رحمه الله.

[٥] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٠٣٢).

[٦] **الإتقان في علوم القرآن** (١/٣٨٦)، للسيوطي رحمه الله.

٢٩.من المجمع عليه أنه لا يجوز قراءة القرآن بغير اللغة العربية، لا في الصلاة ولا في خارجها؛ لأن الله أنزله قرآنا عربيا قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾[يوسف: ٢]، كما لا يجوز قراءة القرآن بغير اللفظ العربي المبين الذي نزل به، ولا يجوز بالإجماع كتابته بغير الحروف العربية، لا باللاتينية، ولا بغيرها؛ لأن القرآن عربي في لفظه، وعربي في حروفه، وكتابته، ورسم القرآن كما رجحنا سابقا توقيفي، وسنة متبعة لا تجوز مخالفته، وإننا لو جوَّزنا هذا في كتابة القرآن الكريم لفتح باب شر مستطير، فسيكتب كل أصحاب لغة من المسلمين القرآن بحروفهم، وحينئذ تكون الطامة الكبرى، فسيكون وسيلة لتحريف القرآن الكريم، ولزوال الوحدة العربية اللسانية الممثلة في لغة القرآن بين المسلمين.

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

الفهرس